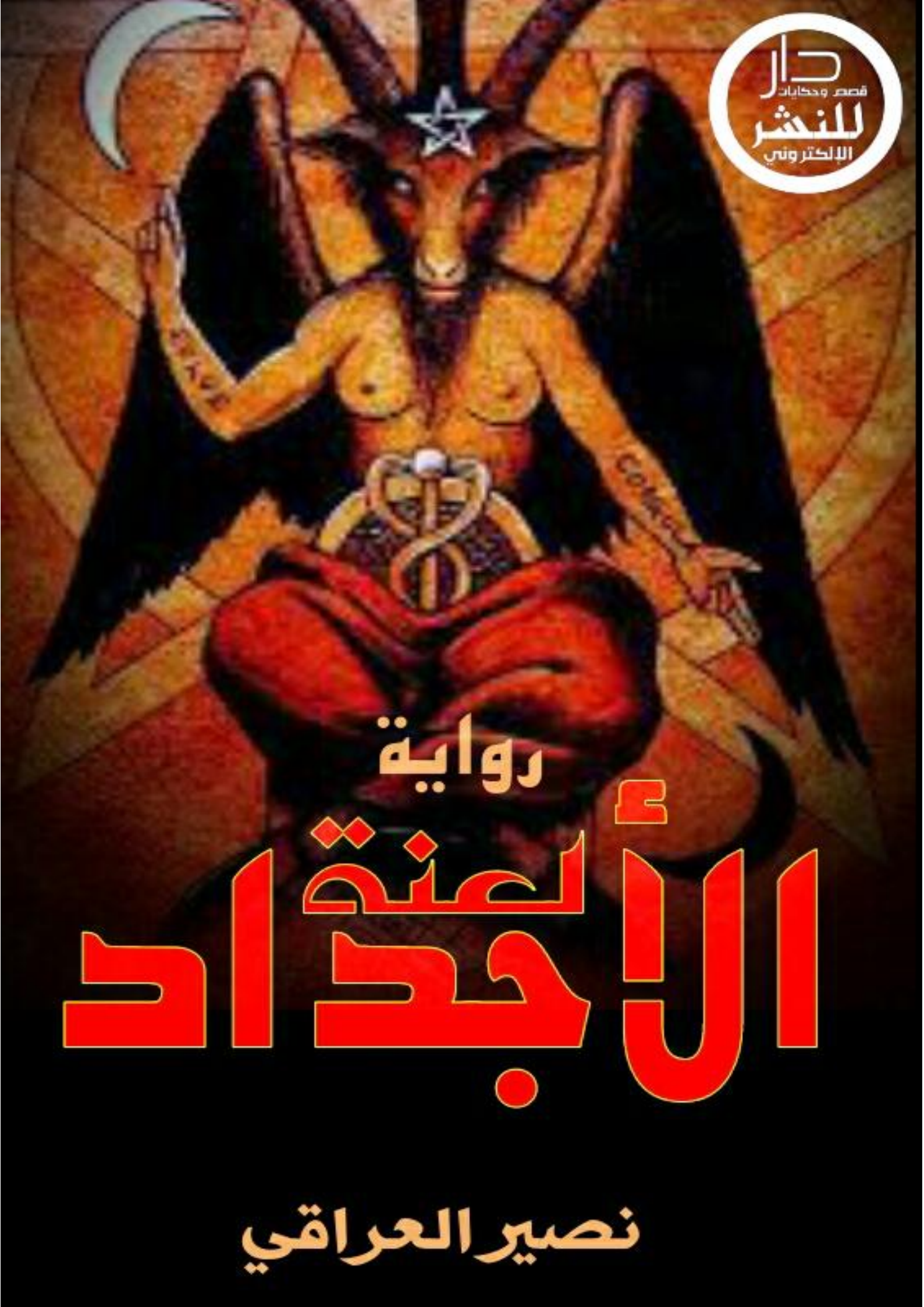

رواية

عقد الأجداد

نصير العراقي

العنوان: لعنة الأجداد

التصنيف: رواية

المؤلف: نصير حسين العراقي

المُدقق اللُغوي: الكاتب نفسه. مراجعة: فريق الدار

اللغة: فصحى

التنسيق الداخلي والإخراج: فريق الدار

تصميم الغُلاف: فريق الدار

سنة النشر: 2018

الحالة: حصرياً

رقم الطبعة: 1

رقم الكتاب بالدار: 6

جميع الحقوق محفوظة لدار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني ©2018

الموقع الصفحة الجروب

«الفهرست»

«مقدمة» ٤
الموت و الحياة الجديدة ٦
النبوءة تتحقق ٣٤
مرحباً (أُولوجماو) ٦٠
الخيانة ٨١
جمهر ١٠٤
هرمز الجديد ١٢٠
العهد المكتوب ١٣٩
أهلا بك في منزلك ١٥٧
ما أجمل المنظر ١٧٣
انهض مولاي ١٨٤
«عن الكاتب» ٢١٠

«مقدمة»

تحية طيبة وبعد:

إن ما ستقرأون في طيات هذا الكتاب ،و ما ستجدونه من أحداث دموية ليس المقصود بها التعبير عن شغف الكاتب لها بل هي ترجمة واضحة لما نمر به من اضطرابات و قتل و تخريب و استضعاف للحق و استئثار بالباطل .

ما موجود بين السطور لو أردنا تطبيقه على واقعنا لوجدنا انه لا يشغل إلا حيز ضئيل من معانات امتنا.

هدفي في كل ما أًسطر هو مسح الغبار عن أحداث اليوم و الأمس القريب ولكي أضع أمام أحبتي جيل الحاضر و المستقبل بعض الحقائق بطريقة تداعب أخيلتهم بعيد عن التمنطق و التفلسف الفارغ .

في النهاية أضع بين أيديكم أحبتي بكل تواضع هذه الرواية و كلي أمل أن تحظى بشيء من وقتكم الثمين.

المؤلف

إلى كل إنسان لا يرضى بالظلم ...

إلى أمي الغالية.

«نصير حسين فارس العراقي»

الموت و الحياة الجديدة

أَشرقت شمس صبح جديد و بدأت أشعتها تداعب السهول و الجبال و التلال ، زقزقت العصافير و تعالت ضحكات الأطفال اللذين يلهون بين طيّات المروج التي غطى أوراق نباتاتها الندى.

استيقظ الشاب من نومه بسبب أنشودة الصباح (صوت صراخ أمه!.

أصغى جيداً لذلك الصوت الذي كان معتادً عليه فوجده مختلفًا هذه المرة، إذ يتخلله أمواج من الحزن العميق تعتليها كلمات الويل و الثبور.

لا يفوتني أن أذكر أن صاحبنا هذا اسمه "هرمز" و يبلغ من العمر ستة عشر عامًا.

استنفر قواه راكضًا إلى غرفة والديه على الرغم من الكسل الذي كان يرمي بثقله على جسده ،لحظات ودخل المكان المنشود ليجد أباه ملقى على الأرض أمعن النظر فرأى وجهه قد تشوه و غارت معالمه ،وكأن نار الجحيم لفحته و الدماء تملأ المكان إضافة لزجاجة نبيذ تستلقي بجواره وقد خرج ما في داخلها ممتزج بالدماء، جال بعينيه محاولا الوصول إلى أقصى نقطة في المكان ، ثم سأل أمه في ذهول :

ـ ما هذا يا أماه؟ما الذي حصل لأبي؟ من أين كل هذا الدم؟!!

احتضنته و الدموع تسيل على وجنتيها، وأنفاسها مضطربة، والكلمات تخبط بعضها بعضا، ثم قالت:

ـ لا أعرف يا بني ،نهض كعادته وبدأ يحتسي الخمر، خرجت لأعد له العجة، ثم ما لبثت إن سمعت أصوات غريبة تصدر من ناحية الغرفة كرعيد وشخير عالٍ، تلف كل ذلك صرخات متقطعة ،ثم هدئ كل شيء لثانية وسطع بعده بريق و ارتفع صوت أباه بكلام غريب لم افقه منه أي شيء ، هرعت إليه فوجدته على ما ترى.

عادت الأم إلى ولولاتها و بكاءها، وابنها بين أحضانها لا يحرك ساكنًا.

في تلك الأثناء كان أهالي القرية مجتمعين عند شيخهم ليساعدوه في التجهيز لحفل زفاف ابنه الرابع على بلقيس، و لأن الكوخ الذي كان يقطنه هرمز و عائلته كان في أطراف القرية لم يسمع منهم صراخ المرأة احد.

كانت الأكواخ و البيوت في القرية تتميز بسقوفها المصنوعة من القصب و الحشائش الطويلة إضافة للطين الأحمر و جدرانها الحجرية، ويفصل بين مسكن و آخر مسافة ليست قصيرة.

إن الأناس الذين يعيشون في تلك البقعة من الأرض أطلقوا عليها اسم (قرية الصخور) ،و هم من نسل رجل واحد ماعدا عائلتين أحداهما عائلة الشاب المفجوع .

أما شيخ القرية فمعروف عنه الصفات الحميدة و هو أب لسبعة أولاد رابعهم اسمه أسامة، كما أن أهالي القرية يمتهنون رعي الأغنام ودباغة الجلود.

خرجت الأم مذعورة تستجدي من يغيثها تاركة الشاب عند جثة أبيه يبكي.

لم يطل غيابها، عادت ومعها مجموعة من الرجال.

دخل الجميع إلى الداخل فأصيبوا بصدمة لما رأوا الجثة و الذي حل بها إضافة لهرمز الذي كان يغترف بيده من الدم و يضعه في فمه مستكشفا طعم تلك المادة و الدموع تتساقط من عينيه بغزاره كما حبات المطر .

الجميع وقف في ذهول، صرخت الأم بصوت عال، و قالت:

- وا ويلتاه ،ماذا تفعل؟ أجننت!!

أخذته بين ذراعيها و الصمت قد أسره، لم يتفوه بكلمة واحده قط.

قام الرجال بواجبهم تجاه الجثة و أُجِّل الزفاف ، ثم توجه الجميع إلى منزل العائلة المنكوبة لتأدية واجب العزاء حاملين معهم مؤن و أطعمه .

انقضى النهار و دخل الليل ،الجميع عاد إلى منازلهم ،جلست المرأة وحدها تولول نادبة حظها ،و قد أنستها فجيعتها ابنها الذي استقر به المطاف في العلية أعلى الكوخ منذ الصباح لم يبرح الفتى مكانه ينظر إلى السماء و نجومها عبر نافذ صغيرة يطلع إلى الأفق البعيد و نفسه تحدثه قائلة: يالروعة المنظر!

في تلك اللحظات كان إحساس اللذة و النشوة متمكن منه، قطع على نفسه عهد بإعادة الكرة متى ما سنحت الفرصة.

بقي الشاب مستيقظا وهو يحس أن شيء ما قد تغير فيه، أما أمه فقد أتعبها الحزن و استسلمت للنوم و هي جالسة على كرسي زوجها أمام الفرن الحجري.

مضت الساعات الثقيلة، ثم أشرقت الشمس و استيقظت المرأة على صوت إحدى نساء القرية و هي تنادي.

- يا أم هرمز افتحي الباب أتيتك بالطعام .

نهضت في ذهول مهرولة ناحية الباب، والدموع لم تفارق مقلتيها.

فتحت الباب وإذا بأم عامر زوجة شيخ القرية و بصحبتها عدد من النسوة يحملن طعام، وحاجيات أخرى، طلبت منهن الدخول.

سألت إحداهن عن الشاب، فصاحت الأم قائلة:

ـ اللعنة عليَّ قد نسيت ابني في الأعلى أرجو ألّا يكون أصابه مكروه.

هرعت راكضة فوجدت هرمز جالس أمام الشرفة الصغيرة يتأمل السماء و آثار الدماء تلوث فمه.

صرخت قائلة:

ـ ويحك ما الذي تفعله هنا،لِمَ لَم تنظف نفسك؟

ثم انهالت على خديها باللطم حتى سقطت مغشياً عليها ،في المقابل لم يكن له أي رد فعل طبيعي جراء ما يرى فقط اكتفى بالنظر إليها و هي تهوي إلى الأرض بذلك الجسد الممتلئ ،ثم أشاح بناظريه ناحية السماء .

وصل النسوة للمساعدة فقمن بحملها ،ثم قامت أخرى بأخذ الشاب لتزيل عنه اثر الدم ،اعد الحساء الساخن،ولم يمر الكثير من الوقت حتى أفاقت أم هرمز و على فورها نهضت مستجدية بناظريها ابنها فقرّت عيناها عندما وجدته يتناول الحساء.

لم يكن الفتى يحس بمتعة كبيرة في تناول الطعام، فطعم الدم لا يزال مسيطر على الأحاسيس لديه، أنساه ذلك ما تمر به العائلة من محنة، توالت الأيام وعاودت الأم الخروج للرعي.

تزوج أسامة ،وعمت الفرحة أرجاء القرية لكن في ذات الوقت كان خبر احتساء هرمز دم أبيه الميت يدور على كل لسان و ما ساعد على ذلك إن الشاب أصبح حاد الطباع قليل الكلام ،فسرت إشاعة مفادها إن الابن أصيب بلعنة أبيه المشعوذ.

لم تلقِ الأم بال لِما يقال فهي معتادة على سماع مثل ذلك الكلام عندما كان زوجها على قيد الحياة.

أصبح هرمز شغوفا بالصيد و لا يفوّت أي فرصة للخروج إليه حتى يعزي نفسه بشرب الدماء الحارة لفرائسه من الحيوانات التي يصطاد ، كان يستمتع بذلك كثيراً لكنه لم يصل إلى المذاق المنشود الذي حصل عليه في أول تجربه له.

في احد الأيام و عندما كان عائد من إحدى رحلات صيده وجد أمه تقوم بجمع كتب أبيه، سألها عن ما تروم فعله، أجابته:

ـ أود أن تساعدني في حملها، وإنزالها إلى القبو لنتخلص منها فيما بعد فهي من أهلكت والدك.

قال بشيء من الشغف:

ـ دعيني أطالعها لعلي أجد فيها ما ينفعنا.

صرخت بقوة، و الدموع تهلهلت من عينيها، ثم قالت له بنبرة زجر:

ـ أنت مجنون لن أَدَعك تلمس ورقة واحدة منها، سوف القي بها في القبو و في الوقت المناسب أقوم بحرقها.

لم يجادلها كثيراً على الرغم من الرغبة التي سرت في داخله للاطلاع على ما تحتويه.

***

تعاقبت الأيام و الأشهر مسرعة وها قد مر عام و نصفا على وفات الأب.

رزق أسامة و بلقيس بمولود ذكر أسمياه سامر و لكن فرحتهما لم تكتمل، إذ صادف كسوف للشمس في يوم مولده ،و هذا حسب ما يعتقد أولئك القوم فأل سيء فتقول أقاويلهم: إن من يولد في مثل هذا اليوم يكون من أتباع ملك الأرض السفلى و سيملئها ظلما و جورا.

على الرغم من ذلك فلم يتوان جد المولود عن إقامة وليمة كبيرة احتفاءً بوصول أول الذكور من أحفاده .

في تلك الأيام أم هرمز تعاني من مرض أقعدها في المنزل و تولى ابنها مسئولية رعي الأغنام ،وقد كان شغفه لشرب الدماء وصل إلى مرحلة متقدمة و لم يعد يكتفي بما يصطاد بل بدأ يأخذ من الأغنام التي بحوزته مما جعله يترك تناول ما سواه من الأغذية.

أصبح جسده قاسي كالصخر بارز العضلات، كما أن الجميع كان ينعته بالملعون لما يملكه من شراسة و خلق غليظ.

في احد الأيام عندما عاد إلى مسكنه بعد غروب الشمس بوقت طويل و هو يحمل حزمة من الحطب ليشعلها كي يطرد البرد القارس الذي كان ضيف كوخهم الدائم بعد اهتراء السقف.

دخل ليجد أمه مستلقية على الأريكة، تقدم ناحيتها و هو يناديها باسمها فلم تجبه أعاد المحاولة لكن دون جدوى اقترب أكثر و أمسك بجسدها ليجده قد تخشب من البرد و فارقته الروح و قد تغير لونه من الأبيض المصفر إلى الأزرق.

أصيب الشاب بشيء من الحزن لفقدانه أمه و في الصباح قام بدفنها لوحده، ثم رتب لمراسيم عزاء و استأجر منادي ينادي في القرية ،لكن لم يجبه احد فزاده ذلك غيظا و حزنا .

اعتكف في كوخه فترة من الزمن معتمداً في غذاءه على ما عنده من ماشية، و بعد نفاذ مؤونته عاود الخروج للصيد.

استمرت حياته على هذه الوتيرة فترة من الزمن ، و في إحدى الليالي، و بينما هو مستلقي على سريره غارق في تأملاته التي لا تنتهي ،و المطر المنهمر بغزاره يسيطر على المشهد ، فجأة؛ فتح الشباك بعنف و دخل منه رجل طويل القامة يرتدي رداءً بالي ذي لون أسود ، تقدم نحوه بهدوء من

دون أن يصدر أي صوت و هو يسير على أرضية الكوخ المتعبة والتي كانت تفضح حتى الفئران.

حاول هرمز التعرف على شيء من ملامح وجه زائر الليل هذا، لكن دون جدوى فجاء البرق فجأة ليهيئ فرصة إلقاء نظره خاطفة فوقع بصره على وجه شاحب مشابه لوجه أبيه.

أنار البرق المكان مره أخرى فوقع نظره هذه المرة على الجزء الأسفل من الرجل فلم يجد له قدمان مما أثار الريبة داخله و ارتعب بعض الشيء حتى أنه سقط من على السرير.

ناداه ذا الرداء الأسود بصوت له صدى، قائلاً:

ـ لا تخف أنا أبوك ،لن أؤذيك.

هدأ قليلاً وأصغى مستمعا ،فقال ذو الرداء:

ـ يا بني لقد ولدت لتكون سيدا آمرا ناهيا في هذا العالم ، لا تهدر أيامك في الجلوس و التأمل ،افعل ما وجدت لأجله.

أجابه الشاب بصوت وهن:

- وكيف لي ذلك،يا أبي؟

قال:

- انزل إلى القبو و استخرج كنزك الذي تركته لك، انزل و اقرأ وافعل ما تفهم.

أتى البرق مرة أخرى و مع زواله كان الرجل قد اختفى و الشباك موصد كسابق عهده مما دفعه للشك بما رأى، ثم جاء بالسراج لينير به المكان، جلس يفكر طيلة تلك الليلة.

حل الصبح ورحل الليل، فبدأت أشعة الشمس تبعث في النفوس الدفء.

توجه الشاب إلى القبو باحثا عن كنزه المزعوم و هو يحاول تذكرا كلمات الرجل.

لحظات تفكير قصيرة يربط بها الشاب الأحداث القديمة بالحديثة فأدرك ما رامه زائر الليل و توجه

ناحية كتب أبيه و قام بإخراجها، كان عددها كبير جدا، اعد لنفسه مكان للقراءة، ثم خرج للصيد و عاد بعد يومين.

بدأ مهمته في مطالعة الكتب فوجدها في شتى العلوم و الفنون و قرر تقسيم وقته بين القراءة و توفير الطعام.

أول ما بدأ بقرائته كتب عن فنون القتال ،و كانت رغبته لتذوق دم البشر تكاد تشطره إلى نصفين ، لكن خوفه من اكتشاف أمره إنما فعل ذلك ،كان رادعه في كل مرة يهِم به لفعل ذلك .

مضى عام كامل، وهو يطالع و يحفظ الكلمات والأفكار، وحتى طبق ما تعلمه في بعض الأحيان.

جاء الربيع أخيراً، الورود تفتحت و أطلقت عطرها في كل مكان ،الأطفال بدؤوا يخرجون للتنزه مع ذويهم في المروج الخضراء .

أسامه و زوجته كانا مع المتنزهين يرافقهم سامر، القرية بأكملها تنعم بالدفء و المحبة إلا كوخ صغير يخيم عليه الحزن و الظلام.

فتيان القرية لم يكونوا يفوتون فرصة يرون فيها هرمز إلا و ينالون منه متأثرين بالقصص القديمة عن أبيه و عنه ،حتى وصل الحال بهم رمي كوخه بالحجارة و هم يصيحون بصوت مرتفع:

ـ اللعنة عليك يا لعين.

لكن كبار السن ينهوهم و يمنعونهم من ذلك التصرف، قائلين لهم بشيء من الحزم:

ـ من لا يؤذنا لا نؤذيه.

في تلك الفترة كان هرمز يمر بمرحلة عصيبة ، كان يخوض صراع مع نفسه حيث بدأ يشعر بأشياء كثيرة تتغير في داخلة و كأنه يتحول إلى مخلوق أخر ، فتعطشه لدماء البشر زاد لحد يصعب عليه السيطرة على نفسه حتى وصل به الحال انه أراد الفتك برجل عجوز في إحدى رحلات صيده ،لكن الرجل كان محظوظ ففي آخر لحظة انضم أولاده إليه.

استمر الشاب بالقراءة و التعلم من فن إلى فن و من علم إلى آخر وكانت الأعوام تمر فمرت عشرة منها و هو لا يدرك ما يدور حوله سوى أنه كلما عطش ارتشف الدماء و كلما جاع اقتات اللحم النيئ ، و الصراخ داخله لم يتغير إلا انه يكبح من تعاظم تلك الشهوة قدر المستطاع أملًا أن يأتي يوم يطفئها فيه.

اتسعت القرية و تطورت فأصبح فيها طرق مرصوفة بالحجارة و بدلت الأكواخ بمنازل جميلة ذات جدران ملونه و هو غارق بين طيات الكتب و قطرات الدماء .

الناس تناسوه و لم يعد احد يعر لوجوده أي اهتمام.

كبر سامر و أصبح فتى جميل الملامح دمث الخلق و قد كان جده يعلمه القتال و ركوب الخيل منذ نعومة أظفاره ذلك بعد تسليمه إدارة شؤون القرية إلى ابنه الأكبر عامر.

في إحدى تلك الليالي و بينما هرمز مستلقي على فراشه الرث و حوله الكتب و جلود الحيوانات متناثرة هنا و هناك تلبدت السماء بالغيوم و اشتد عصف الرياح التي لا يحول بينها و بينه شيء فالكوخ شبه منهار ، بدأت قطرات المطر تنهمر شيء فشيء ، ازداد وطأها حتى ابتل جزء كبير من المكان. هدر صوت الرعد و أضاء البرق ظلمة الليل الموحش حاول الرجل أن ينأى بنفسه عن البلل لكن دون جدوى و بينما هو مشغول بذلك فجأة وجد أمامه الرجل الذي زاره قبل سنوات و هذه المرة كانت ملامحه أكثر وضوحا و اهتراء في الوقت نفسه .

بادر الشاب بالسؤال قائلا:

- ما بك، يا أبي ؟ أراك على غير ما يرام !

أجابه بنفس الصوت ذي الصدى المخيف:

- لا تقلق إني بخير، وفخور بك لأنك عملت بنصيحتي لكن بقي شيء عليك قراءته.

قال و هو مستغرب:

ـ لقد قرأتُ كل شيء كان موجود في القبو.

قال:

ـ بل تبقى شيء مهم و فيه تحديد مصيرك و العالم أجمع.

قال:

ـ ما هو؟!

قال:

ـ في القبو قرب زاويته اليمنى ذات الخشب المتهرئ و تحت الأرض ستجد صندوق من خشب البلوط فيه ما يهمك، أحفظ ما في داخله عن ظهر قلب.

قال الشاب:

ـ حسنا سوف أقوم بكل ما طلبت مني .

أطلق ذي الرداء الأسود ضحكة جعلت السقف يهتز بعنف حتى إن قطع صغيرة تهاوت منه، ثم قال:

ـ ما هي أخبارك مع شرب الدماء، ألست في شوق لتذوق طعم دم البشر مرة أخرى؟

قال:

- إني أتحرق شوقا لتذوقه و أن أحس مرة أخرى بذلك الشعور الرائع الذي مازال يراودني كلما أذكر تلك الواقعة، كم كان لذيذ دمك أبتاه.

نظر إليه بعين باسمة ،ثم قال:

- أحضرت معي هدية لك!

رفع الجانب الأيسر من رداءه و أخرج طفل رضيع لم يكمل سنته الأولى ،أعطاه لهرمز وهو يقول:

- خذ استمتع و تلذذ بهذه الدماء الطازجة!

ثم استرسل قائلا:

- سيأتي يوم تسود فيه على رقاب هذه المخلوقات البائسة، وتتحكم بمصائرهم كما فعل جدك العظيم.

اختفى فجأة كما جاء فجأة. ظل الشاب يتلفت حوله و هو غير مصدق، لكن صوت الرضيع أعاده إلى الواقع.

نظر إليه بإمعان فوجده يبتسم له، خفق القلب المتحجر لتلك الابتسامة الملائكية، لكن الأمر لم يطل فصيحات العطش للدم تغلب على كل شيء.

نهض إلى المطبخ بعد إن وضع الطفل على السرير ،أتى بسكين كان يستخدمها في سلخ جلود الحيوانات و آنية فخارية فوضعها على الأرض و حمل الطفل مقربا رأسه من تلك الآنية فهم بجز عنق الرضيع كي يجمع السائل الثمين، ولكن خارت قواه و ارتجفت يداه إلا أن شيء أقوى منه صرخ و جعله يفعل ما يتمناه.

ارتشف و ارتشف من الغالي الأحمر، ومع كل قطرة تدخل جوفه يزداد عطشه، وبعد أن انتهى جلس مسند ظهره إلى السرير و هو يشعر بنار تسري في عروقه لم يمر الكثير من الوقت حتى بدأ يحس بتغييرات تجري داخله.

بدأ يتقلب على الأرض يمينا و شمالا وكأن مس أصابه ، حرارته ارتفعت بشكل كبير و عيناه تحولتا إلى قطعة من الدم الأحمر القاتم ، و أحس بقلبه قد توقف و أضلاعه تتشظى ، لم يتمالك نفسه فأطلق صيحة مدوية هزت أرجاء المكان و أيقظت النيام .

ارتمى أخيرا بين أحضان غرفته، ونام نوم عميق لم يعرف له مثيل في ما مضى.

في الصباح كان أهالي القرية يتساءلون في ما بينهم عن الصوت المدوي الذي سمعه معظمهم ليلة أمس ،و بدأت التخمينات ، و الإشاعات تسري بينهم ،فمنهم من قال انه صوت "المسعلوة" و آخرين قالوا أنه صوت "أسد مسعور"، تواترت الأحاديث حتى

وصل الخبر إلى شيخ القرية ،فأمر أن يجتمع الناس عند منزله ، ثم خطبهم قائلا:

ـ يا أهلي الكرام انتشرت بينكم شائعة عن صوت سمعتموه أمس، انتم تعلمون إن الليلة الماضية كانت مليئة بالزوابع و الرعود إضافة للمطر الغزير، فكيف استطعتم تميز صوت ما، و نسبتموه إلى مخلوق أو حيوان بعينة ؟! إني أؤكد لكم أنه كان صوت الرعد لا غير، لذا أرجو منكم العودة إلى أشغالكم، هيا انصرفوا رافقتكم السلامة.

في تلك الأثناء كان هرمز يغط في نوم عميق ، ثم توالت الأيام و الليالي و الشاب لا يزال في نومه غارق و جثة الطفل إلى جواره و قد أصابها التفسخ و الانتفاخ .

انقضى النهار السابع على نومه.

استيقظ ليلا و هو يشعر بأنه يمتلك قوة هائلة يستطيع معها هدم جبل ،تفقد المكان بناظريه ،وجد

الجثة في وضع مزري ،جلس يفكر كيف يتخلص منها ؟ ثم طرأت في باله فكرة استحسنها.

نهض منتصبا على ساقيه، و وضع الجثة في الفرن الحجري، استعمل بعض الكتب كوقود، فكانت النار أكثر جشع منه.

مر وقت قصير حتى داهمه الجوع و اشتد به العطش، جال ببصره في المكان فوقعت عيناه على قوسه و النبال، ارتدى فراء الحيوانات، ثم خرج.

بدأ يسير لكن هذه المرة بخطوات أكثر رزانة و سرعة كان كغزال أُطلق في البرية، كما انه أعجب بقوة بصرة الثاقب حتى أنه تمكن من الرؤيا في الظلام الحانك بكل وضوح.

بعد بحث مضني في البرية تمكن من اصطياد فريسة ،و ارتشف دمها بالكامل ،ثم حمل الجسد على ظهره عائدا به إلى الكوخ محتفظا بها كمؤنه احتياطية ، وفي الليلة التالية و بعد استيقاظه نزل إلى القبو سار بكل ثقة كأن شمس سطعت في تلك الظلمة .

بدأ بالحفر في المكان الذي دله عليه ذا الرداء الأسود، لم يبذل الكثير من الجهد حتى وجد ضالته، صندوق أسود شبه متهرئ حمله و انطلق إلى الأعلى ليكتشف محتواه.

عند فتحه وجد في داخله قطع من جلد أفعى لفت حول شيء ما ، باشر باستكشاف ما تحتويه تلك القطع التي صارت تراب عند احتكاكها بيده ليشخص أمامه كتاب كبير غلافه الخارجي مصنوع من جلود البشر و قد نقش عليه بالذهب (كتاب ملك الهلاك).

هابه الاسم في البدء لكنه لم يتوانى عن فتحة و المباشرة في مطالعته، وبدأ يسمع أصوات غريبة تتحدث معه بلغة لم يعرفها من قبل، أخيرا قرر أن يستسلم للنعاس الذي داهم أجفانه.

في منامة زارته أمه و كانت علامات الغضب تعلو محياها.

قالت له مؤنبة:

ـ لماذا أخرجت الشر من مكانه ؟ ستكون الملعون إذ واصلت القراءة أعده وعش حياتك.

أعادت كلامها مرارا و تكرار.

لم يستطع الرد عليها في حلمه و كأن شيء عقد لسانه، حاول و حاول لكن دون جدوى، الأم لا تكف عن الصياح:

ـ أعده و إلا هلكت و أهلكت الناس معك، أعده.

استيقظ من نومه مفزوعا ، و هو يصيح :

ـ لا لن أعيده انه ملكي أنا وحدي.

نظر حوله بعد استعادته لوعيه فعرف انه كان يخوض في خضم حلم ليس إلا.

أشاح بوجهه يميناً و يساراً فوقع نظره على الكتاب، تسمر و أحس انه يناديه فعاود القراءة مشغوفاً.

رحل مع محتويات الكتاب الذي كان يتحدث عن ملك قوي حكم كل المخلوقات و له مملكة في بقعة من الأرض المظلمة داخل غابة بابك ، أثناء مطالعته و جد بين ثنايا الكتاب خارطة تدل على المكان المنشود .

استمر في الغوص في غمار الكتاب، فعرف أن ذلك الملك قيد بلعنه أثناء إحدى حروبه مع ملك الرحمة قبل ردح طويل من الزمن.

شد للقراءة أكثر عندما وصل للمقطع الذي يتحدث عن كيفية كسر تلك اللعنة، ثم شد أكثر و هو يقرأ عن الشخص الموعود الذي سينال شرف كسرها.

طالع و طالع فقرأ عن الأماكن الواجبة المرور بها لمن يريد الرحيل إلى تلك الأراضي.

أخذت القراءة منه شهر كامل حتى تمكن من إنهاء ما بين دفتي ذلك الكتاب، و في كل يوم يطالع فيه كانت الأصوات ترتفع و تزداد حتى انه عندما فرغ منه و أثناء إنهاءه لآخر صفحة سمع صوت يقول له بلغة يفقهها.

ـ أنت الم و ع و د، أنت المختار ، أنت وزير الملك ، و قائد جنده .

عاود مراجعة الكتاب مرارا و تكرارا و في كل مره تتكرر الكلمات نفسها.

زارته أمه في حلمه مره ثانية محدثة له بنفس الكلام ، و في زيارتها الثالثة له كانت الأمور مختلفة فقد كان يطاردها الرجل ذا الرداء الأسود ، وبينما هي تحاول الاقتراب من ابنها و كأنها تطلب منه النجدة ، احرقها الرجل بكرو من لهب اسود ، ثم نظر إلى الشاب و هو يضحك عندما بدأت المرأة تحترق و تتقلب على الأرض .

قال الرجل للشاب بعد أن انتهى المشهد و تحولت الأم إلى كومة رماد:

ـ ماذا تنتظر ؟ اذهب إلى سيدك فهو ينتظرك منذ زمن بعيد ، لا تتلكأ ،فأمامك مستقبل زاهر لا تضع الفرصة من بين يديك ، ألا تريد أن تكون خالداً؟!

أنهى حديثه ثم التف حول نفسه و اختفى، وطار بعيداً.

استيقظ هرمز من نومه ليجد عيناه و أذناه يسيل منهن الدم ، نهض من فراشه و جلس أمام إحدى نوافذ كوخه المتهرئ و الوقت لا يزال فجراً ، فكر بكل ما دار و حصل .

انتصف النهار و هو على حاله و لم يتمكن شيء من إخراجه من تأملاته تلك سوى الجوع، نهض إلى تيس ماعز جبلي امسكه قبل أيام، ادخله إلى الداخل، ثم ذبحة، وضع دمه في إناء و لحمه في آخر على الطاولة.

جلس يتناول طعامه بنهم و فجع دون إشباع رغبته في دم البشر.

حدث نفسه قائلا:

- لا مناص من إسكات جوعي بأي شيء.

في تلك الأثناء كان سامر يتجول وحده بين أرجاء القرية و أخذه السير و القفز إلى مقربة من الكوخ القديم، نظر إليه بإمعان مستذكر كلام جده عن ساكنه و منعه الاقتراب منه أو الحديث معه.

حاول العودة أدراجه إلا أن حب الاستطلاع غلبه، فقال في نفسه:

- لأذهب و استرق النظر حتى أرى ما داخل كومة الحجارة تلك .

تقدم الفتى بخطوات حذرة و بطيئة، و بعد معاناة وصل ضالته، بحث عن شرخ صغير يمكِّن بصره من اختراق المستور و كشف المستور، فوجد منها الكثير.

بدأ ببصره رحلته ،و بعد شيء من العناء وقع بصره على هرمز فهرع لما يرى من منظر مقزز ،كان منظر تناول اللحم النيئ و شرب الدم المتخثر لا يطاق و ما زاد الأمر سوء هو منظر الرجل المزري ، لم يتماسك الصبي و خارت قواه فسقط محدثاً ضجة.

خرج الرجل مسرعاً يتفقد مصدر الصوت، تمكن الشاب الصغير من الفرار مسرعاً بعد إصابته ببعض الكدمات.

ارتبك هرمز و أصيب بالحيرة و راح يبحث عن أي فكرة أو طريقة تخرجه من هذا المأزق ، و قد أيقن أن الطفل سوف يخبر أهالي القرية.

أسرع في تنظيف الفوضى من عظام و جلود، ثم أشعل الفرن ووضع القدر فيه في محاولة لإعطاء انطباع انه شخص طبيعي، صال و جال يرفع قمامة أو يرتب كرسي، أو...

في تلك الأثناء وصل سامر إلى المنزل و بدأ يسرد لأبيه ما شاهد.

لاحظ أسامه الشحوب و الارتجاف على ولده إضافة للكدمات التي أصيب بها.

قال:

ـ بني، ما تقول حقيقي أم انك تشاجرت مع بعض الصبية، وقاموا بضربك؟!

أجاب:

ـ اقسم لك إني رأيت ذلك بأم عيني، أرجوك صدقني، شاهدته و هو يأكل اللحم النيئ و يشرب... ، و أنا متأكد مما رأيت.

قال:

ـ طيب ، يا ولدي تستطيع وصفه لي؟

أجاب:

ـ أسمر البشرة، طويل القامة، ذي لحية عظيمة و شعر جسد كثيف، و لا يضع شيء على جسده سوى قطع من جلد على نصفه الأسفل، و أكثر ما أراعني في منظره هو عيناه الحمراوان.

هز الأب رأسه باستغراب ، وقال:

ـ حسنا سأتحقق من الأمر بنفسي، اذهب و لا تحدث أحداً بهذا.

جلس أسامة يراجع ما اخبر به و الشك يساوره في صدق ناقل الخبر ، ثم تذكر يوم مولده ظل محتار لبعض الوقت، لكن في

النهاية قرر اللجوء إلى أبو عامر الذي أصبح جليس منزلة لا يبارحه أبدا.

لم يهدر كثيرا من وقته ، انطلق إليه ، واخبره بالقصة كاملة .

قال الجد:

- إني اذكر قصة ساكني الكوخ ، أنصحك بالذهاب إلى أخيك عامر اخبره بالأمر ، ثم اصطحبوا معكم بعض الرجال ، و تأكدوا من صحة أقوال ابنك على الرغم من إني أصدقه.

اتفق الجميع على مداهمة الكوخ قبل بزوغ الشمس .

جاء المساء و هرمز يدور حول نفسه ، و قد تيقن في أعماقه إنهم قادمون لا محالة.

بعد تفكير عميق قرر الهروب و البدء برحلة البحث عن ما وكل به.

حمل بعض الأسلحة و الكتاب و ارتدى ما يتمكن من الجلود ذات الفراء.

خرج من الكوخ بصمت و اخذ يتلفت يميناً و شمالاً، كان الظلام دامس.

سار بحذر مسرعاً حتى وصل إلى تل يشرف على كامل القرية، فأعتلى قمته مقررا البقاء ليلته هذه يراقب ما سيحدث.

قال محدثا نفسه:

ـ سأمكث هنا متواريا عن الأنظار، إن لم يحصل شيء أعود إلى مسكني و استأنف حياتي.

مر على مراقبته زمن ، ظهرت مجموعة مشاعل يحملها رجال مدججين بالأسلحة متجهين ناحية كوخه ، عند وصولهم أحاطوا به من جميع الاتجاهات و قام احدهم بطرق الباب و بعد عدم تلقيهم أي أجابه خلعوه ،ثم دخلوا مهرولين ، لم يطل الأمر بهم في الداخل ، خرج الجميع و تناول احدهم المشعل معاودا الدخول ما هي إلا هنيهة حتى خرج مهرولا و خلفه ألسنة اللهب تتصاعد.

علت الصيحات، القائلة:

ـ الموت للمشعوذ، الموت، الموت.

انتشر الجميع في كل الاتجاهات يبحثون عن هرمز ليلحقوه بكوخه.

أما من جانبه فقد استشاط غيظا لما فُعِلَ بمهد ذكرياته ، و أراد العودة ليوسع ضربا ،لكنه في نهاية المطاف تمالك نفسه ، وبدأ نزول التل من الجانب الآخر متوجها إلى قصده المجهول ، و قد عاهد نفسه بالعودة للانتقام .

النبوءة تتحقق

بدأ رحلته التي كان وقودها الحقد و الرغبة في الانتقام.

استمر رجال القرية يبحثون عنه حتى مساء اليوم التالي، ثم عادوا خاليون الوفاض.

سار هرمز النهار كله و جل الليل دون توقف سوى لوقت قصير محاولا الوصول إلى مبتغاة في اقصر وقت ، و طوال فترة سيره كان هنالك نسر أسود يحلق فوقه .

بعد اجتيازه لكل الأراضي التي يعرفها فتح كتابة و اقتلع الخارطة منه و كما جاء في الخريطة عليه الوصول إلى جبل المرارة كأول خطوة.

اتخذ الوجه الصحيحة و حث الخطى، ساعده في الاستمرار دون تعب وفرة الغذاء.

بعد مرور فترة من الزمن ليست بالقصيرة وصل إلى قرية تقع خلف جبل صغير، كان الربيع قد حل حينها و الأرض طرحت سحرها الأخضر، و لأول مرة أحس باشمئزاز من هذا المنظر.

انتظر حتى هبوط الظلام ليتحقق من أحوال القرية ، كانت المنازل فيها مشيده من أحجار سوداء و حمراء، إضافة للرمادية، كما إنها تعج بمشاعل النار التي لا تنطفئ نارها، فهنالك من يعكف على أدامة لهيبها، و المارة بين الحين و الآخر يقومون بالسجود لها.

استمر بالمراقبة و مع انتصاف الليل و القمر بدر، شاهد مجموعة من الرجال لا يتجاوز عددهم العشرة يخرجون من القرية و هم حاملين مشاعل متجهين ناحية الشرق، لحق بهم محافظاً على مسافة تفصل بينه و بينهم.

تسارعت الخطى لتحط الرحال في مكان شبيه بالمقبرة، دخلوا و تجمعوا حول نصب كبير تحيطه مشاعل عملاقة من كل جانب، ويتوسطه تمثال لتيس ماعز نصفه الأسفل بشري، و رئسه يحمل قرون عظيمة متعرجة.

شكل الرجال دائرة حول التمثال،و قاموا بإيقاد المشاعل،ثم سجدوا للصنم و هم يدمدمون.

بينما هو يراقب ما يحدث عن كثب دوى في مسامعه صوت يناديه قائلا:

- اذهب لأولئك القوم ،و أقتل كبيرهم يكونون عوناً لك و خدما مطيعين.

تكرر النداء عدة مرات ، فأذعن له ، تقدم ببطء مستلا سيفه ، محاولا معرفة كبيرهم باستخدامه حدسه ليس إلا ، و عند وصوله إلى مقربة منهم ، ولم تعد تفصله عنهم سوى ثلاث خطوات أو أربع ،و أثناء إحدى سجداتهم لاحظ رجل قصير القامة ممتلئ

الجسد يرتدي رداء مختلف عن البقية، فلم يتردد في إنزال سيفه ليفصل الرأس عن ذلك الجسد المكتنز بالشحوم.

انتبه الباقون لما فعل بزعيمهم، و اكتفوا بالنظر إلى ما حدث دون أي رد فعل طبيعي على عكس ما توقعه منهم .

انهارت أماله في خوض معركة حامية الوطيس، أعاد أنظاره تجاه ضحيته فأثار لون الدم المتدفق شهيته.

لم يعد طوع أمره، انقض يرتشف الدماء، أما الباقين كانوا أشبه بجمهور هادئ لا يحرك ساكنا.

الآن هذه المرة الثالثة التي يخوض فيها غمار تلك التجربة التي طالما عشقها و عن طريقها أعلن عن الوحش الذي آل إليه، مسخ مفترس في جسد إنسان، أحس انه بحاجة لإطلاق صوته عاليا، فصرخ صرخةً دوّت في أرجاء المكان.

انتصب واقفا فوجد جمهوره العزيز يسجد له، انتابه شعور انه يملك العالم و بدأت قوة عظيمة تسري داخله نظر إلى السماء و صرخ مره أخرى حتى تلبدت الغيوم فوق المكان، انتابته نوبة هستيرية من الصراخ و لم يعد يملك زمام الأمور.

البرق ينير الأرجاء، و الصواعق تضرب المكان بكل عنف، أخيرا أحيل التمثال إلى كومه من الحجارة المبعثرة بعد تعرضه لهجمات متكررة من الصواعق.

عاد وعيه تدريجيا، تقدم إليه احدهم و هو زاحف على بطنه، و عندما صار أمامه مباشرة مرغ وجهه بالتراب عدة مرات، ثم قال:

- **يا سيدي و مولاي لقد تحققت النبوءة التي كنا ننتظرها منذ قرون، أهلا و سهلا بك، يا مختار الإله.**

قال:

- **أي نبوءة تتحدث عنها أيها الأبله؟**

قال:

- **النبوءة يا سيد تقول: سوف يأتي رجل أحمر العينين أجعد الشعر طويل القامة من الأراضي البعيدة، يقتل الكاهن (داريوش)،ثم يمتص دمه، بعدها يأمر السماء فتحط تمثال الإله الأصغر (أننيوخوس)، و من يقوم بكل ذلك هو حتما مختار الإله و الملك العظيم و حامل تلك الأوصاف هو المخلص الكريم، ها قد تحققت النبوءة نحن عبيدك و طوع أمرك منذ اليوم أؤمر تطاع و تمنى تجاب.**

صمت الرجل ينتظر بلهفة و شوق ما سيقوله هرمز.

بعد هنيهة أطلق الشاب ضحكة صفراء يلفها الشر و الظلام ، فضحك معه الآخرون.

قال الرجل الذي اخبره عن أمر النبوءة:

- **ألتمس من مقامكم العالي قبول دعوتنا و تشريف قريتنا لفترة من الزمن، كي نتمكن من تجهيز ما تحتاجون لإتمام رحلتكم الميمونة و المباركة بأرواح الظلام.**

سار الجميع إلى القرية يتقدمهم هرمز كما رجوا منه، و الباقين خلفه مطأطئين الهامات و الرؤوس ،و استقر به المقام في منزل فخم يملؤه الخدم .

أعلنت الأفراح ، و الاحتفالات بمناسبة قدومه ،و تحقق النبوءة ، لسبعة أيام في كل يوم كانوا يأتون له بفتاة لم يتجاوز عمرها العشر سنين ، لكي يقضي وطره منها ،ثم تكون طعاماً له بعد ذلك ، و قد كان يسأل كل واحدة منهن عن سبب تضحيتها بنفسها ، و جاءته الإجابات متطابقة و بكل جرأة و صدق، يقلن:

- **أنا في خدمة مختار الإله العظيم (ملك الهلاك) .**

بعد انقضاء الأيام السبعة جاءه نفس الرجل الذي تحاورا معه ليلة قتله للكاهن.

قال له:

- سيدي و مولاي موكبكم جاهز ليقلكم إلى مبتغاكم و قد زودناكم بمرافقين لخدمتكم، و السهر على راحتكم إضافة لذلك هنالك عربة فيها عشرون فتاة لمتعتكم.

نهض بعد أن وصل به الغرور أعلى مراتبه، ثم قال:

- حسنا، حسنا سأغادر الآن.

انطلق العربة الفخمة التي يستقر داخلها هرمز تجرها ستة خيول سوداء قوية و يحيط بالعربة ثلاثون فارس و خلفها عربة الفتيات تتبعها عربة تحمل الطعام و الماء للمرافقين .

بينما المختار يتجه نحو هدفه ، كان ملك الجزيرة الشرقية و المعروف باسم (الملك الأبيض) يعاني من كوابيس مرتبطة بما حدث مع هرمز في تلك القرية ، و كانت الأحلام المزعجة تزوره كل ليلة تقريباً مما حرمه النوم.

أخيرا أرسل إلى الحكيم مرجان و اخبره عن حاله طالباً منه تفسيرا لكل ذلك.

انتبه الحكيم إلى ذكر الملك لرجل اسمر، أجعد الشعر....

قال الملك:

- أكثر ما راعني هو رؤيتي لرجل طويل القامة بشكل لا يوصف تجول ألسنة اللهب في فمه!

بعد أن انتهى من سرد جميع الأحداث بأدق التفاصيل .

قال الحكيم:

- ما راودك في نومك ليس بكوابيس ...، هي نبوءة قد بدأت تتحقق.

توقف عن الكلام و هو يطلق الحسرات ، ثم استرسل قائلا :

- آه كم تمنيت ألاّ يأت هذا اليوم اللعين و أنا على قيد الحياة.

عاود صمته ، فقال الملك الأبيض:

- كلامك مبهما، وضحه أكثر؟!

قال:

- سمعا و طاعة، يا مولاي، لكني أرجو منك أنَّ تأَمر بصرف كل الحاضرين حتى أخبرك بالأمر كاملا.

تردد الملك في بادئ الأمر إلا انه أمر بذلك.

قال:

- **الآن أصبحنا وحدنا، هيا هات ما عندك.**

قال:

- **مولاي جدك العشرون و المعروف باسم (ملك الرحمة)، خاض حروب كثيرة كانت آخرها ، و أشرسها مع ملك الهلاك الذي كاد أنَّ يتمكن من إبادة جيش جدك لكن المشيئة شاءت ، فوقفت السماء إلى جانبه و أنزلت بعدوه لعنة ربطته لتابوته إلا انَّه تمكن من إطلاق تعويذة على آخر أبناءه ، إذ قال له (اهرب فمن نسل، نسل ...، سوف يأتي من يحررني)، أظن المحرر اللعين آتى ، و من واجبك البحث عنه و القضاء عليه قبل أن يحقق غايته.**

قال الملك و هو مندهش:

- **أنت متأكد مما تقول؟ إني قد طالعت الكثير من الكتب لم تصادفني مثل هذه الحكاية.**

قال:

- **هذه لم تسجل في كتاب بل تناقلتها الأجيال ، و ها أنا أحدثك بخبرها ، كذلك أنا على استعداد أن آتي لك بدليل ، يا مولاي .**

طلب بعض الوقت ليذهب و يعود بالدليل.

قال الملك:

- **أصدقك و ستجلب لي الدليل، لكن قل لي كيف تجد الذي سيوقظ صاحب الهلاك هذا، و كيف يقتل؟ اخبرني لو سمحت.**

قال:

- **أول أدلتي هي قطعة من الجلد رسمت عليها خارطة تفصيلية تساعد في الوصول إلى مملكة اللعين ، و حسب ما جاء في رؤياكم فإنَّ (مختار الملك)، الآن في قرية اسمها (الزاديشموتية)، وهي تبعد عنا مسيرة شهرين على ظهور الخيل السريعة ، لكن من المؤكد انه لن يبقى طويلا هنالك بل سيتجه جنوباً نحو كهف الأفعى الكبيرة .**

الملك:

- **ما هي الأفعى الكبيرة ؟**

قال:

- **إنها مخلوق بشع يشبه الأفعى، و هذا كل ما اعرفه عنها لان خبرها منقطع.**

الملك:

ـ حسنا، أكمل.

قال:

– علينا إرسال أفضل فرساننا ليقطعوا عليه الطريق، و يمنعوه من الوصول إلى مبتغاة.

الملك:

– كيف ذاك ؟

قال:

– المسافة الفاصلة بين القرية و جبل المرارة الذي فيه كهف الأفعى شهرين أو تزيد، فإذا تمكن رجالنا من اختصار الطريق سوف يصلون خلال شهر و نصف تقريبا، نقوم نحن خلال تلك الفترة بتجهيز جيش قوي تحسباً لأي طارئ.

لحظات صمت، ثم قال الملك:

– ما يخص إرسال الفرسان فلا مانع عندي، شريطة أن تكون على رأسهم ، أما الجيش فمستحيل هذا، المملكة دائمة التعرض لمحاولات أعداءنا غزوها و لا استطيع التفريط بعدد كبير من جنودي لمجرد حلم، و قصة يصعب على عقلي الاقتناع بها.

أجابه مرجانا، و خيبة الأمل ألقت بظلالها عليه.

- كما تحب مولاي، لكن أرسل معي مائة فارس مجهزين بأحسن الأسلحة على اقل تقدير.

الملك:

- انه عدد كبير، سأمر لك بعشرين هذا كاف، هيا اذهب و تجهز للسفر غدا و سيكون عندك

أشجع الفرسان و أشدهم بأساً.

هرمز بدأ رحلته بالفعل و حوله حرسه و في أحضانه فتياته .

كانت الأرض تستقبلهم خضراء يانعة و تغادرهم صفراء جرداء لا حياة فيها، العصافير لا تزقزق قربهم الشر يشع من موكبهم و الظلام يحوم من حولهم، و النسر الذي رافقه طيلة أيام سفره الماضي أصبح مجموعة نسور تحلق فوق الموكب و هم أشبة بغمامة سوداء.

عند هبوط الظلام توقف الموكب للراحة ، فنام الجميع إلا هرمز .

أرسل الملك الأبيض في طلب قائد جنده و أمره أن يجهز عشرون فارس تحت إمرة الحكيم مرجان كما أمره بألّا يكونون من المتميزين، نفذ الأمر من فوره.

في الصباح تجمع الفرسان المنتخبين أمام بيت قائد رحلتهم منتظرين خروجه ليبدأوا المهمة التي لا علم لهم بها ، كان بين أولئك الشبان شخص يدعى هشام مشهور بالجبن و الخوف من كل شيء ، كان هزيل الجسد ضعيف القوى، انضم إليهم مرجان ،و انطلق الجميع.

تجول هرمز في المكان الذي خيموا فيه محاولا قتل الوقت لحين استعداد الباقين لاستئناف الرحلة.

بعد ابتعاده لمسافة لا بأس بها رأى احد النسور السوداء متجه نزولا ناحيته، ظل يراقبه حتى استقر على الأرض وإذا به ينتفخ، وينتفخ، ويكبر،وفي نهاية المطاف برز له صاحبه.

انتصب أمام الرجل ،ثم انحنى له ، وقال:

– تحية لمختار الملك، أرجو أن تكون على خير ما يرام سيدي.

تفاجأ بعض الشيء ، ثم قال:

– ماذا بك أبي ؟! آنا ابنك ، ومن يجب أن ينحني لك و يسألك عن حالك.

أجابه:

– أنا لست أباك، كنت أزورك في الماضي على تلك الهيئة لكي لا ترتاع مني، أنا احد حراس مملكة الهلاك كلفت برعايتك، أنا خادمك المطيع و كل من تراهم فوقك هم كذلك.

هز هرمز رأسه ،ثم قال:

– لا يهم كنت أبي أم لا، فأنا مؤمن بما وكلت به، إني في شوق للقاء مولاي.

قال:

– هو أيضا في شوق لك .

ابتسم الشاب ، وقال:

– ما اسمك؟

أجاب:

– خادمك "بانذار"، أنا و من معي آخر ما تبقى من حراس المملكة بعد الحرب الأخيرة ضد اللعين ملك الرحمة .

قال:

- اخبرني عن تلك المعركة ؟

قال:

- ليس مصرح لي بذلك، سوف تعرف كل شيء في وقته المناسب.

استمر الاثنان يتجاذبان أطراف الحديث فترة من الزمن، بعدها انصرف كل إلى شأنه.

استمروا في التقدم مجتازين الجبال و الهضاب تارة، أو الأودية و المستنقعات تارة أخرى، مضى على رحلتهم تلك قرابة الشهر و قد تمكنوا من قطع نص المسافة.

لم يتبقى من صُحبة هرمز سوى عشرين حارس متلهفين لكي يكونوا غذاء لسيدهم "النهم" فاعتقادهم إنهم بعد تضحيتهم تلك سيبعثون من جديد على هيئة أمراء كمكافأة من ملك الهلاك، و في المقابل لم يتوان المختار عن منحهم هذا الشرف في كل ليلة لواحد منهم.

بينما الشر يسير قدماً ، مرجان يحث الخطى وخيبة الأمل تملؤه بعد معرفته حقيقة الفرسان، و هو متيقن أن ثمة غدر حصل من قبل الملك الأبيض لظنون قديمة في نفسه.

قال محاورا نفسه:

- اللعنة على اليوم الذي أطلقت فيه تلك الكلمات التي جعلت المعتوه يعتقد أني طامع بملك..صمت..،مع ذلك سوف أكمل الرحلة و أنجز المهمة، لعل فطنتي و ذكائي يعيناني على تحويل ثلة الجبناء هذه إلى رجال.

استمر الحكيم بكتمان أمر مقصدهم محتفظا بالسر لآخر لحظة، رغم إلحاحهم عليه إلا انه لم يخبرهم بشيء.

في اليوم السابع و الثلاثون من الرحلة هبط "بانذار"، ليخبر سيده بقرب وصول مرجان و فرسانه.

قال هرمز:

- ما شأننا بهم؟

قال:

- جاؤوا ليصدوك عن مقصدك، أو يحاولون قتلك.

ضحك ضحكة دوت في أرجاء المكان، ثم قال:

– من أعلمك بذلك، يا سيد "بانذار"؟

أجاب:

– نملك عيون في كل مكان، وقد اخبرني احد مصادرنا من الجان.

قال:

– إذن أهلا بالطعام.

مرّت الأيام مسرعة، و لم يتبق من مرافقيه سوى ثلاثة، و قائد العربة.

ناد على النسور، وأمرهم باتخاذ الشكل الأرضي، و يتولون مهمة الحراسة و قيادة العربة، ثم أقام وليمة لنفسه.

في تلك الليلة كان مرجان يراقب الموكب عن بعد ليرى ما يحصل بينما فرسانه نائمون مطمئنين خلف تل كبير يفصل بين الفريقين.

طلب صاحب الرداء الأسود الإذن من سيده بالإغارة على الأعداء، لكنه رفض معللا:

– أريدهم أحياء فهم مؤونتي لحين وصولي إلى الأفعى ، اتركهم ينامون ليلتهم هذه بهدوء ، و غدا نأسرهم كالنعاج

التي أضاعت طريقها ، إني في شوق لتجربة دماء أهل الجزيرة الشرقية ،كما إني واثق أنَّ مذاقهم سينال إعجابي.

- سمعا، و طاعة.

بعد انتصاف الليل قام الحكيم بإيقاظ الرجال مخبراً إياهم حقيقة المهمة الموكلين بها، ثم اصطحبهم تحت جنح الظلام ليشاهدوا الهدف المنشود.

بعد أنَّ علموا الحقيقة ، و رأوا العدو بداوا يولولون نادبين حظهم العاثر ، أما هشام فكان يبكي صامتا و تتساقط من عينيه الدموع الحارقة.

الحكيم يحاول جاهدا الشد من أزرهم، مؤكد لهم إن الأمر واقع لا محالة، فإما القتال، أو العود إلى جلاد الملك ليضرب الرقاب.

بعد طول حديث أيقن الرجال أنهم ملاقون حدفهم عند الصباح لا محالة.

أشرقت الشمسُ، و هم لا يزالون في دوامة نقاشهم العقيم مع مرجان.

اتفقوا أخيراً على القتال معه خوفا من بطش الملك .

بعد أن نشرت الشمس نورها في كل الأرجاء اعتلى الرجال ظهور الخيول منطلقين في محاولة للالتفاف، و مباغتة العدو.

أكملوا الالتفاف ليجدوا هرمز و من معه بانتظارهم، استلت السيوف من أغمادها ، و تعالت الصيحات الحماسية ، شدوا على خيولهم كي تحث الخطى أكثر ، انقض الجميع ماعدا هشام الذي اختار الإبطاء قدر المستطاع ، و من ثم لاذ فارا .

تقدمة الخيول تدك الأرض دكا ، و فوقها الفرسان يلوحون بسيوفهم و يهللون .

بالمقابل الجانب الآخر ، كانوا واقفين يتفرجون على المشهد و لا يحركون ساكن ،و كأن الأمر لا يعنيهم.

و ها هي لحظة الصدام العنيف، هوت السيوف العطشى على رقاب حراس مملكة الهلاك، فلم يحدث لهم شيء، وكأنها ضربت في الهواء.

دب الرعب في القلوب الخائرة، نظر كل منهم إلى الآخر، و بحركة واحدة غاية في التنسيق ألقيت الأسلحة، و لاذوا بالفرار، و هم يصرخون:

- أشباح، أشباح!!!

بقي الحكيم وحيدا و هو يصرخ بأعلى صوته .

- لا تجبنوا عودوا، عودوا.

لكن نداءاته لم تجني ثمارها.

تحول عدد من الحراس إلى نسور منطلقة في أعقاب الفارين.

تقدم الشاب ناحية الحكيم مرجان الذي لم يبرح مكانه إلا أن أوصاله ترتجف من أعلى إلى أسفل، كشجرة في مهب ريح عاصف.

امسك بعنقه، و انزله من على صهوة حصانه، ثم بدأ يشمه.

قال:

- من أنت؟ ماذا تريد مني؟

أجاب الرجل و هو يعاني من صعوبة في التنفس:

- أنا حكيم الملك الأبيض، و اعرف من تكون، يا...، جئت اخلص العالم من شرك ، و اعلم انك ستتغذى بدمي .

قال :

- همم، أنت تعرف الكثير، هذا جميل، لكني لا ارغب بك طعام، أنت مليء بالأمراض و الأسقام، لا تصلح لي سأحيلك إلى طعام لوحوش الليل بعد أن أمزقك بيدي.

قام بضربه مراراً حتى أحاله إلى قطة من اللحم الممزق، ثم تركة يتلفظ أنفاسه الأخيرة.

عادت النسور و بحوزتها تسع عشرة رجلا.

قال هرمز بابتهاج:

- مرحى ها قد جاء الطعام .

ثم التفت إلى" بانذار" طالبا منه سرعة التحرك.

قاربت الشمس على المغيب، عاد هشام ممتطيا فرسه يبحث عن زملائه لا لشجاعة فيه، لكن خاف إكمال طريق الهرب وحيدا.

تفقد المكان بحذر شديد، فلم يجد سوى دابة الحكيم تقف بالقرب من جثة صاحبها، وهي تذرف الدموع.

ترجل متقدما ببطء وهو يبلع ريقه مراراً و تكراراً ، بدأ يقلب الرجل بحذر شديد ، فجأة سمع صوت ضعيف يصدر من الجثة فزاد رعبه ، أمعن الإنصات فإذ به صوت مرجان.

قال:

- بني عليك اللحاق باللعين و قتله، و إلا سوف يهلك البشر أجمعين.

قال:

- أنا لا استطيع قتل بعوضة ، و تطلب مني قتل ذلك المخلوق ، دعك من هذا الهراء و استجمع قواك حتى أحملك لنعود أدراجنا .

قال:

- لم يعد هناك فائدة، أني ألفظ أنفاسي الأخيرة، أترى الحقيبة الجلدية التي على ظهر دابتي؟

أجاب:

- نعم...

قال:

- داخلها رداء صنعه جند من السماء و هو يمتلك قوى سحرية، من يرتده لا يُرى و لا يُسمع، أو تُشَم رائحته من قبل المخلوقات سينفعك في مهمتك، أرجوك بني لا تخذلني.

مات الرجل و هو يشير بيده إلى السماء .

بحث هشام عن الرداء ليجده أسمر اللون شبة متهرئ، و كأنه صُنع من أصواف الأغنام.

فقال في نفسه:

– العجوز كان يخرف ، لا أظنُ إنَّ هذه الخرقة البالية تنفعني بشيء ، لكني سأحتفظ بها على سبيل الذكرى.

بينما هو يحدث نفسه حط الليل رحله في المكان ، فأنتبه انه وحيد وسط هذا الظلام ، ثم سمع أصوات مخيفة تتقدم نحوه من عدة اتجاهات ، و كعادته اختار الخوف رفيقا له في مثل هكذا مواقف ، تلفت يميناً و يساراً محاولا عدم رؤية أي شيء .

بعد برهة اتضحت له الرؤيا ، وعرف أن مصدر تلك الأصوات هي مجموعة من الضباع الكاسرة جاءت لتتناول عشاءها . بدأت ركبتاه تتخبطان ببعض، ثم ركن إلى الأرض.

نظر لحاله ، فلم يعجبه ما آل إليه وضعه حاول استلال سيفه ، لكن يداه اعتذرتا ، لم تستطيعان الحركة فقد كانتا مشغولتين بالارتجاف تضامنا مع باقي الجسد.

أصبحت الضباع على مقربة منه، العرق يتصبب منه بغزارة، أنفاسه تعالت لاهثة، أخيرا أيقن أنها النهاية، فأغمض عيناه منتظرا لحظة انقضاضهم عليه، ثم اشتد خوفا لدرجة لم يعد يتحمله، فأغمي عليه.

مر الكثير من الوقت و هو في غيبوبته، أخيراً أفاق، بدأ يتلفت حوله فلم يجد الوحوش و لا جثة الحكيم، أو أي من الدابتين، تفقد جسده فوجده سليماً.

صاح بصوت مبتهج:

- مرحى ، أنا حي ، أنا حي ، هذه بركات الرداء !

كرر تلك الكلمات كثيرا،ثم قال:

- الرداء! كيف تفوهت بهذه الخزعبلات؟!

لحظات صمت طويلة يسيطر عليها الذهول، ثم فكر ملياً بعدها:

- أظن مرجان محق بشأن تلك القطعة من الصوف، عليَّ تتبع خطى ذلك الوحش، وقتله.

صرخ خوفه من أعماقه: رويدك، رويدك، ماذا تريد أن تفعل ؟! أتستطيع قتل دجاجة حتى تلحق بذلك الكائن و تقتله؛ عد أدراجك إلى الديار، واخبر الملك إنكم قمتم بالمهمة على أكمل وجه، و الخسائر كانت كبيرة، و أنت الوحيد الذي نجا.

استغرق في التفكير و راح يجادل نفسه في سجال طويل جاء في آخره القرار.

قال:

- اذهب وراء ذلك المخلوق، و أراقبه من بعيد، إذا جاءتني فرصة لقتله فعلت، و إلا عدت أدراجي، لأني إن عدت الآن و أخبرتهم بالقصة الكاذبة، لن يصدقني احد، فجميعهم يعرفني.

في تلك الأثناء كان هرمز و من معه يسيرون ليلا و نهارا دون توقف .

استطاع هشام تعقب هدفه عن طريق جثث زملاءه الملقاة على قارعة الطريق بين الحين، و الآخر بعد أن تحولت إلى قطع من اللحم الأزرق.

بعد سفر طويل وصل هرمز إلى مشارف جبل المرارة ، و كان الوقت فجرا .

قال "بانذار" لسيده:

- هنا تنتهي رفقتنا سنتركك تدخل بوابة "أرض الاران" حيث لا وجود لهذه الشمس اللعينة و الأشجار مقززة المنظر ، لا الزهر التي تبعث الاشمئزاز في النفس ؛ عليك التوجه ناحية سفح الجبل الأيسر لتجد كهف الأفعى ، و عندما تقابلها سوف تتكفل هي بالباقي ، أتمنى لك سلامة الوصول إلى غابة بابك. تحول و من معه إلى دخان تطاير في السماء.

تقدم هرمز ناحية الجبل ، و قد أعجبه شكله المختلف ، حيث انه اصفر لون الأرض هرمي الشكل مصقول الجوانب ، و كأنه من صنع صانع ماهر .

عند دخوله إلى بداية تلك الأرض وجدها جرداء خالية من جميع مظاهر الحياة مما بعث الارتياح في نفسه، و مع سيره قدما بدأ يستنشق ريح الموت العزيزة على قلبه كما كان الضباب كثيف و الشمس محجوبة.

لم يحاول الالتفات خلفه لكي لا يزعج بصره بمناظر الحياة.

بينما هو يتقدم مستكشفاً المكان، كان هشام يسير متعب خائر القوى بينه و بين ضالته شوط طويل.

وصل هرمز إلى كهف كبير، كان مدخله غاية في الارتفاع، ثم بدأ يتأمل النقوش على مدخله.

مرحباً (أُولوجماو)

نظر بإمعان إلى النقوش فوجدها تحكي عن مخلوق يشبه الأفعى محاط بالدروع الحديدية، ويحمل سيوف و سياط من نار، و تحته عدد كبير من الرجال متناثري الأشلاء ، ثم تقدم قليلا ليرى نقوش أخرى تعود لنفس المسخ إلا انه هذه المرة ممتطى من قبل كائن آخر يرتدي بزه من فولاذ، و يعتمر خوذة لها قرون كبيرة لا يظهر من وجهه سوى بريق عيناه الزرق.

يحمل ذلك الفارس بإحدى يديه سلسة حديدية في نهايتها كرة من قطران مشتعل، و في الأخرى سيف من معدن أسود.

أمام الفارس و مطيته مجموعة من الجند الفارين، و على جانبي ذلك الكائن و مطيته مخلوقات عجيبة الأشكال و الأحجام ؛ بعد إنهاءه تأمل النقوش دخل أعماق الكهف باحثا عن ضالته، و مع أول خطواته أحس بنسمات هواء بارد يحمل بين طياته رائحة عفنه نتنه.

تقدم و هو يتفقد الجدران التي ما خلت من النقوش، كأنها تسرد أحداث معركة عظيمة ، وقد جاء ما شد انتباهه بين كل ذلك ، رجال آدميين ذوي أجنحه هابطين من السماء عددهم اثنا عشر.

بينما هو يتصفح الجدران سمع صوت فحيح يقترب منه، توقف محاولا التركيز ليحدد مصدره.

سكت الصوت قبل أن يتمكن منه ، تقدم ببطء و حذر شديدين، استمر في السير حتى دخل مكان واسع مليء بهياكل عظمية ، تجول بناظريه يتفقد ما حوله، و إذا بعينين كبيرتين تراقبانه من إحدى الفتحات السبع في الجانب الأخر.

صرخ بصوت عالي:

- من هناك ؟ أظهر نفسك بسرعة.

خرجت إليه الأفعى و هي تجول بلسانها في الفضاء.

عندما أبصرها أصيب بشيء من الرعب لبشاعتها و ضخامة حجمها.

كانت رقطاء سميكة الجلد لها أرجل عديدة قوية في نهايتها مخالب مميتة، و لها اذرع أربعة طويلة، و في نهاية كل واحد منها كف بثلاثة أصابع غلاظ، ظهرها مليء بالشعر الناعم، و ذنبها فيه أشواك مدببة، في رأسها قرون ثلاثة أكبرها في الوسط.

بادرته بالحديث:

- من أنت ، و ما الذي أتى بك إلى هنا؟

قال لها بعد إن استجمع شراسته و غروره:

- أنت من ، يا بشعة!

تفاجأت لحديث الشاب معها، فلم يسبق لأحد الكلام عندما يراها.

قالت:

- من تكون لتحدثني بهذه الفظاظة ؟ ألا تعرف أن بمقدوري القضاء عليك حالا؟

أطلق ضحكته المعتادة، ثم قال:

- أنا سيدك، و مختار إلهك.

دنت منه و قربت لسانها من وجهه، في البدء لم يبدي أي امتعاض من تصرفها إلا انه نهرها عن فعلها ذاك بعد استغراقها كثير من الوقت.

قال:

- ابعدي لسانك عني، أو أحلته إلى قطة لحم نتنه مرمية على الأرض.

قالت بعد إبعاده عنه:

- تفوح منك رائحة الموت و الدماء، لكن عليَّ اختبارك لكي أتبيّن صدق ادعاءك.

قال:

- أي اختبار يا ترى؟!

قالت :

- إذا أتى المختار إلى هنا فعليه إزاحة الصخرة الصماء التي تسد منبع ينبوع الكراهية في أعلى الجبل، فإن تمكنت من ذلك، أنت هو و سأكون طوع أمرك، و إلا ستكون طعام لي.

صمتت لحظة ، ثم قالت:

- هيا اتبعن؟

دخلت إلى أحد الممرات و هو في إثرها ، كانت النسمات الباردة التي تهب بين الحين، و الآخر تجمد القلوب الحية.

وصلا إلى المكان المنشود، كانت عبارة عن قاعة كبيرة ملؤها النقوش، و في أقصاها حجر كروي الشكل أسود اللون و عليه رموز و طلاسم غريبة، سارت ناحية الحجر و تبعها الشاب.

قالت:

- هيا أزحه.

قال:

- حسنا ، لكن كيف ؟ إنه ثقيلا يتجاوز وزني بمائة المرة !

قالت:

- أترى الرموز؟

قال:

- نعم...

قالت:

- سأقرأ لك، و أنت تدبر أمرك.

قال :

- إني مصغ...

قالت ، و هي تقرأ له:

- بأمر الإله ملك الهلاك يأتي المختار، و يحطم هذه الصخرة ليتدفق ماء الكره، و تفوح رائحته مجددا العهد للإله، و ما يصنع من الدم لا يزيحه إلا الدم الشرير الذي تغذى على دماء الفانين ولاء و إخلاص لذاته.

لحظات صمت قليله ،ثم بادرته سائلة:

- هل فهمت المغزى؟

أجاب:

- أجل، و أريد منك رفعي لأعلى الصخرة.

استقر على قمة الصخرة، و قام بعض يده اليسار جاعلا دماؤه تقطر على الصخرة، ثم نزل و قبل استقراره على الأرض، بدأ المكان بالاهتزاز.

الصخرة تتصدع، و تتصدع، حتى انهارت بأكملها متحولة إلى قطع صغيرة، ثم تفجر الماء هادرا، كان صوته عبارة عن صراخ مئات الأرواح المعذبة، و له رائحة خنزير نافق.

نظرة الأفعى إلى هرمز بمنتهى الاحترام ، و قالت:

- اشرب من هذا الماء، فله فائدة كبيرة لك.

قال:

- ما حاجتي به؟

قالت:

- أنت المختار، إن شربت منه لن تعود بحاجة لدماء البشر بل ستكون بحاجة للتلذذ بقتلهم، و هذه متعتها اكبر، كما انه لن ينزف لك جرح، و لا يطول شفاءه، تفضل اشرب سيدي.

أذعن لكلامها من دون جدال اخذا إياه على محمل الجد، و بعد تناوله رشفة منه، و استقر في أحشائه، أحس بقوة مئة رجل وهبت له، كذلك الجرح في يده اختفى.

التفت ناحيتها ، فوجدها ساجدة ، ثم نهضت، و قالت:

- يحيا مختار ...،(أُوشلاتشاواد).

قال:

- ما هذا الذي قلتيه!

قالت:

- انه اسم الملك لكن بلغة أهل ارض "الاران".

استرسلت قائلة:

- تفضل، يا سيدي اركب على ظهري حتى نذهب إلى بيتي المتواضع، و اسمح لي نيل شرف استضافتك لفترة، حتى يتسنى لي تجهيز ما أمرت به قبل ألف عام.

انطلقت به بسرعة و سلاسة، و في الطريق شعر بالنسمات مره أخرى، فسألها عنها.

قالت:

- إنها رياح الموت، كل من يتعرض لها من الفانين يموت قلبه؛ لا تكترث لها أنت احد سادة هذه الأرض.

لم يطل الأمر بهم حتى وصلا كهف كبير جدا فيه عدة ممرات يتوسطه عش عظيم مصنوع من الحجر و الطين، فسألها عنه.

أجابته:

- انه مكانا نومي.

ثم قالت بعد ترجله:

- أرجو الانتظار عدة أيام، لأتمكن من إعداد لباسك الجديد، و سلاحك.

قال:

- حسنا، لكن أود إخباري عن بعض الأشياء.

قالت:

- بكل سرور، تفضل.

جرى بينهما حوار كان مفاده.

- أريدك أولا أن تخبريني عن اسمك، و اسمي بلغة أهل هذه الأرض؟

- اسمي (اولوجماو)، و أنت (أُوششعالاوسن).

- ما عملك في هذه البقعة من ارض "الاران"؟

- جنسي أصل الأفاعي في هذا العالم، و نحن حارسات البوابات الأربع، و جبل المرارة إحداها.

- كم عمرك؟

- مائة و ألف عام.

- تخلدين للنوم؟

- أنام كل مئة عام يوم واحد، و قد مضى على استيقاظي خمسين سنة .

- افهم من ذلك أن النقوش تعود لك؟

- إنها لأمي، مطية الملك قبل وقوع الكارثة في الحرب، و ها أنا أنتظر لكي أكون مطيته.

ثم استرسلت قائلة:

- سأترك تأخذ قسط من الراحة، و اذهب لأعد لك حاجياتك، فأمامك سفر طويل.

تلك الأثناء كان هشام يتهاوى في سيره، و قد نال التعب و الجوع منه الشيء الكثير، وبينما هو يترنح ظهرت أمامه امرأة بارعة الجمال يكاد وجهها يضيء ، تسمر مكانه مأخوذاً بما يرى، فتح عيناه بقوة ليتأكد أنها ليست سراب، مد يده المرتعشة، فلامست كتفها، أيقن أنها حقيقة.

قال متسائلاً:

– من أنتِ من أين جئت ؟!

أجابته بصوت كأنغام الموسيقى العذبة:

– أنا حارسة البوابة الشمالية لأرض النور.

قال:

– من أي قوم أنتِ جميلتي؟

قالت:

– أنا من سلالة الملك (طارش).

قال و الذهول باد عليه:

– ماذا، ماذا، أتهزئين بي ؟ يا سيدتي .

قالت:

- لا، أنا منهم.

صرخ مرعوبا:

- يا ويلي، أخاف من ظلي، فألتقي بـ...

جثا على ركبتيه باكياً ، و يولول قائلاً:

- أرجوك لا تسلبيني عقلي، أنا مسكين، أتوسل إليك اتركيني اذهب لحال سبيلي، ورائي أطفال ينتظروني، لا تقتليني.

ضحكت، و قالت:

- ما بك، يا هشام أنت لم تتزوج بعد، أنا هنا لأعينك على ما وكلت به.

بعد سماعة تلك الكلمات هدأ روعة بعض الشيء ، و بدأ يعيد توازنه ، ثم قال:

- كيف...؟

قالت:

- لا استطيع أخبارك، و نحن في هذا المكان، فعيون الأشرار في كل مكان، لذا اسمح لي أن أستضيفك في منزلي.

قال:

– لا استطيع التحرك خطوة واحدة، استنزفت ما تبقى لي من قوى في مقابلتك.

قالت، و هي باسمة الثغر:

– لا عليك سوف استعين بمن يقلنا.

ما هي سوى لحظات حتى هبطت من السماء عربة غاية في الأناقة و الجمال بلوطية الشكل، بلورية المنظر، و هي دون خيول، أو أي كائن يجرها.

فُتح بابها عند استقرارها على الأرض، و امتد منها بساط اخضر ركبا الاثنان، فانطلقت بهم العربة عالياً.

قالت:

– لا تخف أنت معي، سوف أعالج مشكلتك.

قال لها بكلمات عاثرة:

– أود سؤالك عن اسمك، يا سيدتي أم ممنوع عليّ معرفته.

أجابته، و هي ضاحكة فكانت ضحكتها كنسمات الربيع عندما تداعب زهور الربيع.

– لمن دواعي سروري أن تعرف اسمي ، ادعى شفاء.

أحس بسعادة غامرة ، قال:

– اسم جميل، اشكر الأقدار التي عرفتني بك، سيدتي.

لم تكن الرحلة طويلة ، حتى وصلا إلى المنزل.

قالت:

– ها قد وصلنا إلى المنزل.

قال:

– انه قصرا منيفا!

قالت:

– المسميات لا تعني شيء المهم يكون المكان مريح، و يجعلنا نحس بالطمأنينة.

نزلا من العربة متوجهين إلى الداخل، نظر حوله فرأى عدد كبير من الحراس بهيي المنظر، استقر المطاف في قاعة القصر الرئيسية، أمرت بأن يعد الطعام على الفور.

أكل و شرب، و اغتسل، ثم اخذ قسطا طويلا من الراحة.

قالت له:

– الآن حان وقت العمل، اعرني تركيزك، و أحفظ كل كلمة سوف أقولها، لكي لا تهلك، وتهلك.

قال مرعوباً:

– سمعا، و طاعة.

قالت بعد استقرارها على أريكة كبيرة نجاسة إياه بجوارها.

– لقد انتدبت لمهمة كبيرة لا يقدر عليها أشجع الشجعان، و لا أعرف، الأقدار ارتكبت خطأ أم لها حكمة في ذلك؟!

لم ينطق بكلمة واحدة، واصلت كلامها قائلة:

– سأحاول مساعدتك قدر استطاعتي حتى تنجز ما وكلت به.

تناولت علبة صغيرة ذات لون فضي، كانت على مقربة منها، و قالت له:

– هذه علبه تحوي مسحوق سحري صنعة احد حكمائنا قبل زمن بعيد، اسماها (مسحوق الشجاعة)، أظنك في أمس الحاجة له، هيا تمدد على الأريكة حتى أضع لك شيء منه.

فتحت العلبة، و بدئت ترشه على جسده، كانت مادة ذات لون ازرق، و أثناء فعلها ذلك أطلقت كلمات بلغة غريبة عنه لم يفقه منها شيء.

نزل المسحوق من يد شفاء بمنتهى الهدوء، و السلاسة كأنة وفر ثلج يتساقط على الأرض في يوم بلا رياح، ثم ذاب في جسده و لم يبقى منه اثر؛ بعد ذلك أمرته بالجلوس.

ساورت الشاب الشكوك بفاعلية المادة، فلم يحس بأي تغيير، لكنه أثار السكوت.

قالت:

- يا هشام مفعول هذه المادة لن يظهر إلا في حال إيمانك بأمر يستحق الشجاعة، فأن لم تصل لذلك، لن يخرج مفعوله.

أتت بقارورة صغيرة من الكريستال أشبه بمحبرة داخلها سائل شفاف لا لون له.

قالت:

- خذ هذا سيكون عونك داخل ارض الشر ، كلما شعرت بجوع ، أو عطش خذ قطرة واحدة منه ستغني عن الطعام و

الشراب ليوم كامل حسب توقيتنا، و اعلم إن داخل ذلك المكان لا وجود للنهار، و الليل لا شمس ، و لا قمر ، أو نجوم ؛ أطفالهم لا يكبرون كما أطفالنا ، و شيوخهم لا يفنون كما شيوخنا ، شبابهم لا يشيخون كشبابنا ؛ الوقت عندهم يكاد يكون معدوما .

قال:

– كل هذه معلومات قيمة، لكن كيف سأدخل و أتعقب ذلك الشيء؟

أشارت بيدها ناحية الحقيبة التي بحوزته ، و قالت .

– ماذا يوجد داخل هذه ؟

قال مستغربا:

– أمتعتي، سيدتي.

قالت و هي منزعجة بعض الشيء.

– ماذا بعد ...؟

اضطرب و تلعثم ، ثم قال:

- ها، ها يوجد، يوجد حسنا، سأقول لك، يوجد الرداء الذي إياه أعطاني الحكيم مدعيا انه سحري...

ابتسمت مزيلة التجهم عن محياها، و قالت:

- كل الذي أخبرك به حقيقة، و أن كنت في شك جربه.

قال بسذاجة:

- كيف اعرف أني غير مرئي ؟

أجابت:

- ارتدي، و سيجلبون لك مرآة لتتأكد بنفسك.

حين وقف أمام المرآة مرتديا الرداء لم يرى شيء، فأطمأن قلبه، بعد خلعه للرداء تساقطت الدموع من عينيه بغزارة.

سألته شفاء عن السبب، فأجاب:

- أنا في غاية الحزن لعدم تصديقي الحكيم عندما اخبرني بحقيقة هذا الشيء.

قالت مواسية:

- هون عليك، المهم انجاز المهمة قبل فوات الأوان، هيا لكي أوصلك إلى الحد الفاصل بيننا، و ارض الشر.

بعد استقرارهما في العربة، قالت له:

- أود إخبارك ببعض الأشياء، أولها الإيمان بما أنت مقدم عليه، و ثانيها لا تقرب الأفعى فلها حاسة شم قوية، و عند دخولك الكهف ستصل فناء كبير اسلك الممر الذي مدخله يشبه (الخفاش).

لحظات صمت قصيرة ، قالت في آخرها .

- أريد إعطاؤك شيء آخر أن سمحت لي.

قال:

- بكل سرور، سيدتي...

قامت بتقبيله على إحدى وجنتيه ، ثم قالت:

- هذه القبلة ستحميك من الغفلة ، و تحجر القلب ، و حتى لا يفوتني شيء ، أقول لك عليك ارتداء ردائك منذ اللحظة ، لكي لا يراك احد من جواسيس "سموريه"، لا تخلعه ما دمت قادراً على ذلك، أتمنى لك التوفيق في مهمتك.

كان هرمز مستلقيا في عش (أُولوجماو)، ينتظر عودتها .

لم يمضي الكثير من الوقت حتى سمع صوت أقدامها، و هي تدك المكان، نهض ينظر ماذا جلبت، فوجدها تحمل قطعة كبيرة من جلدها، وسيف في يد، و خوذه فولاذية بيد أخرى.

كَفَرت ، ثم قالت:

- أرجو من سيدي المعذرة على التأخير فقد استغرق جمع الحاجيات بعض الوقت.

وضعت ما تحمل على الأرض ، ثم قالت:

- هذا سيفك الذي ستحارب به مع الإله ...، هو مصنوع من أسنان أمي ، و هذه خوذة وزير الملك إعتمرها ، أما هذه فقطعة من جلدي سوف اصنع لك منه ملابس تحميك.

باشرت العمل على خياطة الملابس سرعة، انتهى العمل بسرعة.

ارتدى الملابس، و ما هي سوى لحظات حتى بدأ بالارتعاد، و غشته موجة حمى، حملته بين اذرعها منطلقة به إلى الجانب الآخر.

عندما تعافى مما أصابه جرى بينه و بينها حوار كان مفاده.

- مرحبا بعودتك، سيدي.

- مرحبا ،(أُولوجماو).

- انظر أمامك أنت الآن في بداية ارض "الاران" ، وهذه حدودي التي لا استطيع تجاوزها مادام الإله تحت وطأة لعنته، اتجه شمالا ، ستلاقي أول ساكني هذه الأرض ، و هو المزارع ، عرفه بنفسك بالطريقة التي تختار لكي يكون مطيع و أحذره ، فهو ماكر محتال.

- ما عمله، وما حاجتي به؟

- عمله زراعة طعامه، و عليه أن يوصلك إلى الحكيم الأسود.

انطلق هرمز قاصداً مبتغاة، و عادت إلى عملها.

***

بعد إن خطى هشام أول خطواته داخل ارض الشر سيطر عليه الخوف و التردد، ثم لم يلبث حتى عاد أدراجه، و بعدها عاد ودخل ارض الشر مرة أخرى ، كرر ذلك عدة مرات فخوفه المفرط كان يصده عن التقدم، و بعد جهد مضني من قبله للضغط على جزئه الجبان استطاع الوصول إلى مدخل الكهف ، لكنه عاد، و تسمر مكانه، أخيرا قرر البقاء مكانه لفترة من الزمن حتى يقل توتره و تهدئ أوصاله المرتعدة.

الخيانة

حاول هشام النوم لكن خوفه منعه، فجلس يندب حضه العاثر الذي رماه في هذه المشكلة التي لا مخرج منها.

قال و هو يحدث نفسه:

- عليَّ الإسراع في اتخاذ القرار السليم، أعود أدراجي، أو استمر دون تلكؤ -ثم صمت قصير- لكن ماذا لو قتلت، ما الفائدة التي سأجنيها، و من يستحق أن اقتل لأجله، بنو جنسي! هم لم يحترموني يوماً، كانوا دائمي السخرية مني...

ثم دقائق سكوت، وترتيب للأفكار، و الكلمات واصل بعدها:

- الجبان ليس صنيعة الناس إنه صنيعتي أنا، أنا من كنت سلبيا بدعوى السلام ، التسامح مع الآخرين ، فما دخل الناس بهذا؟! كلا عليَّ الإثبات لنفسي و للعالم إني رجل حقيقي حتى لو كان ثمن ذلك حياتي، و ها قد سيقت لي الفرصة لأثبت ذلك.

خطى أولى خطواته داخل الكهف، و بدأت نسمات الهواء البارد تلفح وجهه متخطية الرداء بكل سهوله وعند ذلك توهج الموضع الذي رسمت به شفاء قبلتها.

تقدم هرمز شمالا، و كله عزم و إصرار،و مع كل خطوة يحس بجرعات من القوة تسري في عروقه تزيده عنف، هذا جعله سعيدا و مبتهجاً.

لم تكن عيناه القويتان تريان سوى أرض جرداء مليئة بالصخور الصماء، و سماء سوداء تسر ناظريه، و كان يسمع صرخات و أنات لأرواح معذبة حبيسة تلك الأرض أحسها موسيقى تعزف لتؤنسه في رحلته.

واصل سيره الحثيث، وبعد جهد ليس بالقليل وصل إلى مفترق طرق مرصوف بالحجارة، وقف محتار، أي الطريقين يسلك؟

بينما هو على هذه الحال نادته الحجارة التي في الطريق اليسار.

قالت:

- سيدي المختار أنا هو طريقك الصحيح تفضل شرفني بقدميك حتى أحظى برضى الإله.

أنصت جيداً لمصدر الصوت، و تقدم ناحيته، عاودت الحجارة إطلاق نفس الكلمات.

جثا على ركبتيه، و أخذ ينظر إلى إحداهن، ثم قال:

- أتعرفين ما سأفعل بك، و بزميلاتك إن كنتن تخدعنني ؟

قالت:

- نحن أوجدنا الإله (أُوشعلا تشاواد)، و أنت من سيخلصه من لعنته، فكيف يخطر ببالك إن نقوم بخداعك على العكس ما

تتصور أيها المبجل نحن ننتظرك منذ زمن، تفضل سر علينا، أرجوك امنحنا هذا الشرف.

لم يضع الكثير من وقته ،دخل الطريق حاثاً الخطى ، بعد قطعه لمسافة ليست بالطويلة، بدأ يشاهد أشياء مغروسة على جانبي الطريق تشبه في هيئتها ألواح حجرية لها وجوه حجرية كثيرة الشقوق ساوره شعور بمعرفته لبعض منها؛ تساءل مع نفسه عنها، و على الفور جاءه الرد عن طريق صوت أجش حدثه قائلا:

- **هؤلاء من تغذيت على دمائهم، هذه ارض ضحاياك، فهنيءً لك أرضك و منصبك، و حظوتك عن الملك العظيم.**

شعر ببهجة و زاد من استكشافه لما حوله مستذكر تلك اللحظات الجميلة عند انقضاضه على احدهم و ارتشافه الدماء المنعشة.

بعد اجتيازه تلك البقعة من الأرض دخل بقعة أخرى وجد فيها نساء عاريات يجلسن على صخور من نار وقد ربطن بسلاسل حديدية في صدورهن، و أفواههن، و عيونهن.

تساءل عنهن فجاءه الجواب:

- **إنهن من بنات الإنس رفضن مطاوعة شهواتهن فعاقبهن الإله العظيم بهذا العذاب، عندما يعود سيجعلهن طعاما لحيواناته المدللة.**

واصل التقدم حتى وصل إلى واد عميق في أعلاه عيون تخرج الزرنيخ تأتي إليها مخلوقات قصار القامة رؤوسها كبيرة مثل رؤوس الخيول، عيونها مشقوقة بالمقلوب كبيرة ، أجسادها نحيفة و ضئيلة لها أنياب طويلة، و أفواه مشققة من الجانبين تخرج منها تلك الأنياب، ألوانها بين الأسود و الأحمر القاتم.

تقوم تلك المخلوقات بالشرب من عيون الزرنيخ حتى تنتفخ بطونها و تصبح بحجم أجسادها ضعفين ، ثم تنزل أسفل الوادي لتقيء ما شربت، و تعاود الكره مرة أخرى.

استوقف أحدهم سائل إياه عن هويتهم، فأجابته:

– نحن المهرجون، يا سيدي كنا ننتظر قدومك لنقدم لك هدية.

جاؤوا بقلادة على شكل عين حمراء صنعت من معدن، و ربطة بسلسلة من الذهب الخالص، ثم قاموا بالصعود الواحد فوق أخيه حتى أصبحوا بطوله، و قلدوه إياه، ثم ركعوا له جميعا مطلقين كلمات التعظيم.

أستأنف سيره و مع عبوره الوادي فاجأه دخان أسود معتم يحمل رائحة البيض الفاسد، أعجبه المنظر و أنعشته الرائحة.

واصل التقدم داخل الدخان، وبعد اجتيازه وجد نفسه في ارض واسعة منبسطة خالية من الصخور الصغيرة تقريبا يتوسطها بيت كبير مصنوع من الحجارة، فعرف انه وصل ضالته.

اختار لنفسه مكان يمكنه من مراقبة معظم الأرض، و في نفس الوقت يبقيه متواريا عن الأنظار، ثم جلس يراقب منتظراً.

بينما كان هرمز ينتظر تمكن هشام من عبور الكهف و دخل مشارف أرض الشر، لحسن حظه لم تصادفه المتوحشة.

مضى قدما لكنه كان يحس بثقل في قدميه، وكأن الأرض تريد امتصاصه، رغم ذلك استمر، و كل ما أحس بجوع أو عطش احذ من السائل قطرة، مع كل ذلك كان يتوجس خيفة من كل شيء يصادفه في الطريق حتى لو كانت صخرة صغيرة.

بينما الأحداث تسير على هذه الوتيرة داخل ارض الاران، تيقن الملك الأبيض من عدم عودة مرجان، ومن معه، أمر بوزرائه، و الأمراء بالإضافة لقائد الجيش إلى اجتماع عاجل.

بعد حضور الجميع اجتمعوا في قاعة العرش التي تتوسط القصر، لم يطل انتظارهم حتى دخل عليهم الملك في أبهى حلله مزهواً بنفسه كأنه خرج لتوه منتصراً من حرب ضروس.

انحنى الجميع عند دخوله عليهم، و بعد استقراره على عرشه أمر الجميع بالجلوس.

قال:

- **أتعرفون لِمَ جمعتكم على عجالة ؟**

بعد إجابتهم بالنفي قال، و النشوة ظاهرة عليه، و في نفس الوقت يحاول ترتيب الكلام داخل رأسه.

- **أنا أخبركم...، لقد قام الحكيم مرجان بخيانة المملكة من خلال محاولته تدبير مؤامرة للنيل منى شخصياً لكن ألطاف السماء كشفته، و ردت كيده في نحره هو و من معه، و كما تعلمون انه في سفر الآن.**

قام بتغير جلسته على عرشه، ثم استرسل قائلاً:

- **انتم لا تعرفون بالتأكيد لما قام بتلك السفرة! أنا سوف أخبركم بالقصة كاملة ، في احد الأيام صحيتُ مفزوع بعد أن راودني كابوس مزعج، فلجأت إليه حتى يؤوله لي، و كان تأويله أني سأصاب بمرض عضال ، وطلب مني أن أضع تحت إمرته رجال أشداء ليسافر بحثا عن علاج ادعى انه يعرفه فيه شفائي، فوافقت على الفور و أرسلت معه من طلب...**

... صمت طويل ، ثم اطرق قائلاً:

ـ ماذا فعل هو بالمقابل؟ قام بالتوجه مباشرة إلى احد ملوك المنطقة الغربية محاولا عقد صفقة معه تنص على إرسال جيش لإسقاط مملكتنا مدعياً أنه أحق بالحكم مني، لكن لسوء حظه كان ذلك الملك صديقاً قديماً لي، فقام على فوره بقطع رأس الخائن و من معه.

عدل جلسته مرة ثانية، ثم قال:

– ما رأيكم، نحارب الذي لم يقبل أن يكون جزء من الخيانة باعتباره قتل مواطنين من مملكتنا أم نشكره لأنه خلص مملكتنا من الخونة؟

صاح الجميع بصوت واحد:

– عاش الملك الأبيض، و ليسقط الخونة ...

ابتسم، ثم قال:

– اتخذت بعض القرارات، الأول هو إعلان احتفالات عامة لثلاثة أيام، و ثانيها مصادرة أموال كل من شارك في الخيانة، و الأخير إقصاء كل شخص له صلة قرابة، أو صداقة بالخونة من منصبه مهما كانت درجة ولائه للمملكة.

الجميع أيده، و علت الهتافات المؤيدة للملك المحبوب.

نعود الآن إلى أرض الشر حيث مازال هرمز منتظراً،مر الكثير من الوقت حتى فتح باب المنزل، و خرج منه كائن طويل القامة ضخم الجثة يسير على رجلين، و له بطن عملاق تصل حتى ركبتيه ، و شعر رأس يصل إلى مؤخرته المنتفخة، أما لحيته فتجر أطرافها ورائه عندما يسير، عيناه صفراء كبيرتان من دون بياض،ولون شعره احمر فاقع، يرتدي جلد ثور لباس له، وهو عاري القدمين، ذراعيه طويلان يلامسان الأرض، و في يده اليسار محراث كبير،و يربط في شعر رأسه كيس مصنوع من الجلد،شفتا ذلك المخلوق غليظتان سوداوان،و السفلى منهما مليئة بالحلقات المعدنية.

عرف أن هذا الشيء هو من قطع لأجل مسافة طويلة، قرر البقاء مزيدا من الوقت.

بدأ المزارع عمله بحفر حفر صغيرة في الأرض، و بعد الانتهاء بدأ يضع في تلك الحفر بذورا يخرجها من الكيس الجلدي، استمر في العمل حتى افرغ ما بداخله.

صعد فوق سطح منزله، ثم رفع رأسه إلى السماء، و صرخ صرخة مدوية مما جعل الغيوم المتلبدة تتصدع منزلةً من بين ثناياها سائل حبري اللون لزج القوام غطى ارض المزرعة بالكامل.

بعد امتصاص الأرض لذلك السائل بدأت تهتز بشكل متسارع، أحس هرمز بالإثارة، لم يمض وقت طويل حتى بدأت الأرض تخرج ما زرع المخلوق، و أول ما بان على سطح الأرض هو مجموعة كبيرة من الرؤوس البشرية، ثم تبعتها الأجساد الغضة، أخيرا الأطراف السفلى، أكمل المحصول النضج ، و كان عبارة عن أطفال بشريين لا يربطهم بالأرض سوى قطعة لحم أشبة بالحبل يقطر دم.

كان الأطفال في غاية الجمال بشرة بيضاء، و شعر ناعم.

المزارع بعد اكتمال محصوله اخذ يجري حول المزرعة و هو يرقص، و يطلق الضحكات الواحدة تلو الأخرى.

باشر بجني الثمار مستخدما فمه في قطع حبل اللحم، و من ثم اقتادهم إلى داخل منزله، ما هي إلا برهة حتى أخرجت المدخنة دخان كثيف، وتعالت صرخات الأطفال.

قال هرمز:

- انتظر حتى يخرج مرة أخرى، فأحدثه.

مر الوقت بطيءً، و مل الانتظار قبل أن يبدأه، فتوجه إلى مقصده.

وقف أمام الباب و باشر يطرقه بشد طرق، و طرق حتى خرج له المزارع و هو منزعج ، لاحظ هرمز إن قدم طفل لازالت محشورة في فمه، فأنفجر ضاحكاً.

انتبه المزارع لما في فمه، فبصقه على الأرض، و في غيظ شديد.

قال:

- أنت، يا هذا كيف تجرأ على إزعاجي أثناء تناولي طعامي، و لما الضحك ألا تعرف من أكون؟!

صرخ في وجهه عندما أطلق كلماته الأخيرة.

أجاب، و الضحك مازال مسيطراً عليه:

- أنت من يتوجب عليه معرفتي، و عليك إظهار الاحترام، و الولاء.

أثارت تلك الكلمات السخرية لديه، و قال بنبرة استهزاء:

- من تكون يا إمعة؟

تحول هرمز إلى بركان غاضب.

قال:

- أتهزئ بمختار الملك ، يا هذا ! اعتذر الآن و إلا سوف يطالك عقابي.

ارتفع صوت ضحك المزارع هذه المرة، ثم قال:

– أنت من ؟ مختار من ؟ اغرب عن وجهي قبل أن أحولك لطبق مقبلات، هيا اذهب.

لم يتمالك نفسه عندما سمع سخريته و استهزاءه، بصق في وجهه، فثارت ثائرة الأخير، و وصل غضبه إلى الجنون أطلق آخر كلماته.

قال:

– أتجرئ على البصق في وجه (شعلتا وسنجم)، سوف أحولك إلى قطعة لحم نتنه.

تسللت يده إلى جانب باب المدخل مخرجةً قطعة كبيرة من الصخر المنحوت على شكل مطرقة، ثم هوى بها على الشاب بسرعة و رشاقة لكنه فوجئ بخفة حركة الأخير عند تفاديه لها بكل سلاسة، استل هرمز سيفه، و قفز عاليا كاد أن يلامس الغيوم، و انقض على المزارع الذي لم يحرك ساكن لإصابته بالذهول، ضربه بقدميه على صدره فأسقطه أرضاً، ثم استقر فوق تلك الجثة العملاقة واضعاً السيف فوق رقبته المزارع، و بصوت يشبه الرعد.

قال:

- هيا أعلن ولائك لي أنا...، و إلا فصلت هذا الرأس العفن عن جسده المليء بالشحوم النتنة.

أذعن و أعلن الولاء، نهض عنه و ساعده في النهوض، فقام الأخير بدعوته إلى المنزل لكي يرى ما يمكنه تقديمه له.

عند دخوله وجد كل شيء عبارة عن قطعة من الحجارة ،و كان صوت بكاء الأطفال و صراخهم يملئ المكان .

عند استقرارهما في الداخل جرى بينهما حوار مفاده.

- أين أطفالك ؟

- ليس لدي ما ذكرت و لا حتى زوجة؟

- اقصد الذين زرعت، و حصدت لتأكلهم، أليسوا أطفالك؟

- من أخبرك بهذا الهراء ؟! هم مجرد (أُمميين) طعام لي.

- لا تهتم بمن اخبرني، و قل لي من أين حصل على تلك البذور ؟

أجابه بعد إخراجه لأحد الهياكل العظمية من القدر:

- انظر إلى مؤخرة هذا الهيكل، توجد قطعة صغيرة جدا بين العظام تعرف ببذرة العودة، أقوم بإخراجها بعد كل مرة

أتناول فيها طعامي، ازرعها لأحصل على طعام جديد... ثم استرسل قائلا.. اخبرني أيها المختار، ما المساعدة التي تريدني أن أقدمها لك؟

قال:

- **أريدك أن تقتلني حيث يعيش الحكيم الأسود.**
- **اللعنة أتريد مني الذهاب إلى ذلك العجوز الخرف سوف يقتلني إذا رأني، هو يمقتني بشدة، ينعتني دائما بعديم العقل.**
- **لا أريدك إيصالي إلى مسكنه بالضبط بل إلى أي مكان قريب منه.**
- **سمعا، وطاعة الآن خذ قسطا من الراحة بينما انهي طعامي، فأنا لا استطيع السفر و بطني لا تزال غير مملوء.**

جلس يراقب، و هو يحس بالمتعة، فالمخلوق كان يبتلع الطعام بمنتهى الشراهة، و اللعاب يسيل من فمه، و أثناء مراقبته لاحظ قلادة غريبة الشكل معلقة في رقبة المزارع، فسأله عنها.

أجاب:

- **إنها قصة طويلة، لكني سأختصرها لك إن كنت تود سماعها.**

قال:

- هات ما عندك.

قال:

- إنها رمز قومي، و قد كنا في الماضي نملأ الأرض، لكن الحرب اللعينة أودت بحياة عدد كبير من الكائنات ، و من ضمنهم بنو جنسي ، لم يتبقى منهم غيري ،و كنت طفلا آن ذاك فحملني سيدي "سموريه"، و تركني في هذه الأرض، و معي كيس البذور، و أنا الآن في انتظار عودة الإله لكي يختار لي زوجة أنجب منها أطفال، و أعيد مجد أجدادي، هذه قصتي بكل اختصار.

استمر المزارع في التهام الطعام وقت طويل مما بعث الملل لدى هرمز، لكنه اثر على نفسه الصبر حتى يرى متى يشبع هذا الشره.

مر الوقت ببطء، و أكمل طعامه، مسح فمه بلحيته، ثم قال:

- شبعت الآن، أرجوك اعد لي طلبك لان ذاكرتي ضعيفة.

قال هرمز و الانزعاج ظاهر عليه:

- أتذكر قصتك التي مر عليها ردح طويل من الزمن،و تنسى ما قلته لك قبل قليل، يا لك من مخادع ماكر، كان عليَّ الإجهاز عليك و فصل هذا الرأس عن جسده لعل ذاكرتك تتحسن.

انزعج (شعلتا وسنجم)، من كلامه.

وقال:

- على مهلك، يا سيدي لا يوجد مخلوق ينسى قصة حياته، واعذرني فالعمر له وقعه.

قال و هو يغوص في موجة من الغضب:

- لا تكثر الكلام، لا أحب كثرته، و هيا أوصلني إلى الحكيم الأسود.

قال:

- نعم تذكرت الآن، هيا بنا نخرج حتى أنادي واسطة نقلنا.

بعد أن أصبحا في الخارج اتجه المزارع ناحية الغرب ، و بدأ يصفر مستخدما شفتيه.

مر وقت قصير حتى بدأ يرى كتله كبيرة من الدخان تتجه إليهما من بعيد، ثم سمع صوت دربكة على الأرض.

سأل:

– ما الشيء المتجه إلينا؟

أجابه بلؤم:

– إنها واسطة نقلنا، يا سيدي؛ هل أصبت ببعض الخوف؟

ثم رمقه بابتسامة صفراء مما جعل هرمز يستل سيفه واضعا إياه على رقبته .

قال:

– الثالثة فيها نهايتك، أنا لا أخاف من أي شيء، يا هذا.

قال مستدرك:

– يبدو أن سيدي لا يحبذ المزاح...

صمت استمر حتى وصول واسطة النقل ، توقف الدخان أمامهما ، و بدأ يتبدد شيء فشيء حتى أنجلا بالكامل وجد هرمز أمامه ثور رمادي اللون بحجم فيل كبير ذي عينين حمراء ، و قرنين كبيرين متشابكين، و هو ينفث الدخان من منخريه الذين تتخللهما حلقة من لهب اسود ، و يجر عربة كبيرة.

قال المزارع و هو يمسح على جسد الثور بيده.

– أقدم لك (رستم)، تفضل بالركوب.

ركبا الاثنان جنبا إلى جنب، و انطلق بهما الثور متجها ناحية الشمال.

بينما كان هرمز و دليله متجهان إلى الحكيم الأسود، وصل هشام لتوه إلى مفترق الطرق ، ظل واقف في حيرة من أمره حدث نفسه أيهما يسلك اليمين أم اليسار؟

جاء القرار:

– الاتجاه اليسار يجلب الحظ السيئ، لذا اختار الطريق اليمين.

خطى أول خطواته، و هو لا يعرف ما ينتظره.

دخل هرمز و دليلة حدود أرض الجحيم و لاحظ علامات الاضطراب على المزارع بادية بوضوح.

بعد توغلهما مسافة لا بأس بها ظهرت أمامهم فجأة كائنات أدمية الأجساد، و لها وجوه مدورة ملئا بالشعر، و أنوفهم صغيرة، و أفواههم كبيرة ذات شفاه متعددة، و أيديهم في أعلى القفا في اكفها ستة أصابع، و بشرة تلك المخلوقات حمراء.

قام أولئك القوم بسد الطريق أمام (رستم)، فنهض الشاب من مقعده؟

قال:

- أفسحوا الطريق بسم الملك العظيم وإلا...

كلمه احدهم قائلا:

- من أنت ؟ و لما جئت ؟ ألا تعرف أن المرور من هنا ممنوع !

قال بغرور:

- أنا مختار...، و جئت لأقابل الحكيم ...، هيا أفسحوا لي الطريق .

و بينما هو يخوض ذلك الجدال جاء احدهم من بعيد مسرع ، و قد بدا عليه انه كبيرهم لما يرتدي من لباس و حلي، بعد وصوله، و إلقاءه نظرة متفحصة في هرمز قام بالسجود له.

قال:

- أرجو معذرة أبنائي إنهم لا يعرفون من تكون، ألتمس الصفح عنهم، و أقبل ضيافتي.

أمر الباقين بالسجود للمختار، فأجابه، و هو فخور بنفسه.

- قبلت اعتذارك و صفحت، ليس لأني أحب العفو لكني لا أريد إضاعة وقتي الثمين، أما بخصوص دعوتك، فإني ارفضها.

انطلق الثور بقوة يجر العربة، و عليها المسافرين، سأل الشاب صاحبه، قائلاً:

- من هؤلاء؟

قال:

- إنهم سكان هذه الأرض ، ويسمون أنفسهم "فارسيون".

أشار ناحية سلسلة من الجبال، ثم اطرق قائلا:

- انظر إلى تلك الجبال سترى كهوف صغيرة تلك هي مساكنهم ، إن جزء كبير منهم يعمل في صهر الحديد ،وصناعة الرماح ، و السيوف ،و غيرها من معدات القتال استعدادا لتسليح جيش الإله ، و آخرون يشتغلون بأعمال كثيرة منها الحراسة .

بينما الأحداث تجري على هذا النحو داخل ارض "الاران" ، قامت شفاء بزيارة سريعة لأبيها الذي يقطن جزيرة الأحلام.

شرحت له كل شيء، و ما تتوقع حصوله قريباً، ثم طلبت منه أن يجهزها ببعض المقاتلين الأشداء معللة ذلك بعدم قدرتها السيطرة على الوضع بشكل كامل، و أنها تتوقع وصول أعداد كبيرة من مناصري الشر ليقتحموا البوابة، و يحتلوها تمهيدا لخروج سيدهم.

لم يتردد الأب في تلبية طلب ابنته العزيزة على قلبه، فقام بتجهيزها بعدت ألاف من أشاوس مقاتليه، و قد تألف الجيش من امهر الرماة و الفرسان، و غيرهم من أصناف المقاتلين، لم تضع شفاء الكثير من الوقت منطلقةً بهم إلى قصدها يمتطي الجميع السحب خيولا لهم .

في تلك الأثناء كان هشام قد توغل في أعماق خياره، و صعبت عليه الرؤيا ابعد من قدميه لكثافة الضباب، استمر في السير بخطوات حذرة و متقاربة حتى أنهك، فجلس محاولا استعادة قواه.

أثناء جلوسه سمع أصوات ، فحاول التحقق منها ، تقدم متتبع مصدرها بحذر شديد حتى تبين إنها محاورة بين اثنين ، تقدم أكثر بدافع الفضول على الرغم من هالة الخوف التي تدور حوله.

بعد القليل من الخطوات اتضحت له الرؤيا، فشاهد أمامه مخلوقين لا يتجاوز طول الواحد متر و

نصف، و هما مكسوان بالشعر بشكل كامل، و لكل واحد منهما أذنان كبيرتان، و عينين واسعتين،

و فم بارز مليء بالأسنان الحادة، و أيديهم كبيرة مقارنة بجسديهما، كان بصحبتهما قفص حديدي كبير داخله شابة من

بنات حواء خارقة الجمال في أواخر العقد الثاني من العمر، و هي تبكي، و شبه عارية، أصغى لما يقولان.

الأول يحدث الثاني:

- لا اعرف سيدنا مجنونا أم ... ؟! اللعنة يترك إناث قومنا من جميلات الغيلان، و يبحث عن إناث البشر القبيحات، انظر، انظر إليها أشبة بدجاجة نتف ريشها، كيف يتمكن من لمسها، و هي من دون شعر ؟! اللعنة...

الثاني للأول:

- أنا أيضا مستغرب من هذا التصرف ، لسيدنا رغبات عجيبة ، إني دائما احدث زوجتي بما قلته.

الأول للثاني:

- أظنه يستمتع بذلك رغم كل ما قلناه ...، فلما لا نجربه نحن أيضا، و نرى الفرق بين إناثنا و البشر.

الثاني للأول:

- فكرة، لكن ألا تعتقد أن السيد سيكتشف الأمر.

الأول للثاني:

– ما يدريه هو الآن ثمل لا يميز بين انفه، و انف زوجته.

تعالت الضحكات ، ثم هما بإخراج الفتاة ليفعلا فعلتهما، و هي تبكي، و تتوسلهما العدول عن ذلك ، قائله:

– أرجوكما إذا علم أهلي سوف يقتلون...

أحس هشام بنار تستعر داخله عندما سمع توسل الفتاة، و لم يشعر إلا و قد استل سيفه.

وصل هرمز و المزارع لحدود وادي الجحيم ، توقف (رستم) .

ثم قال المزارع :

– ها قد أوصلتك إلى وادي الجحيم، و لن أتمكن من التقدم خطوة واحدة بعد، كل ما عليك فعله هو عبور الجسر المؤدي إلى القصر.

بعد رحيل المزارع ، تفقد هرمز الجسر ، فوجده من فولاذ ، و لا يقع بصره على نهايته ، تقدم بخطوات حذره .

جمهر

هوى هشام بسيفه على الأول فأحاله إلى نصفين ، ارتاع الثاني لما رأى زميله أحيل إلى كومة من الدماء و الأشلاء دون أن يمسه أحد ، و ظن أن الفتاة أصابتهما بلعنة ، تلفت يمينا و شمالا ، و هو يحاول الابتعاد عن المكان بعد إبراز مخالبه ، و إطلاقه لأصوات تشبه الشخير .

أحس هشام بقوى تسري في جميع أعضاء جسده بعد إجهازه على الغول، و تلاشى خوفه في تلك اللحظات، انقض مسرعًا ليجهز على الآخر.

أُغشي على الفتاة أثناء مشاهدتها لما حصل، قام بحملها بين ذراعيه داخل الرداء، ثم سار مبتعدا عن المكان مستأنف رحلته.

وصل هرمز لمنتصف الجسر ، نظر إلى أسفل الوادي ليعرف ما هو عليه ، فرأى نهر من الحمم سريعة الجريان، كأنها مياه توشك على السقوط من شلال عظيم.

أصبح أمام ستار الضباب، فدخله ليجده رقيق جدا، مجرد حجاب.

تطلع أمامه بعد اجتيازه الحجاب ليرى بناء عملاق شاهق الارتفاع، و كأنه مجموعة من القصور فوق بعضها، و المشاعل النارية تملئ المكان، و الحراس المدججون بالسلاح في كل الأرجاء، وهم من مخلوقات ارض الجحيم، و اللون الأسود يغلب على ذلك البناء، و خلفه جبل رمادي اللون غاية في الضخامة، و الارتفاع، و تعتمر قمته غمامة سوداء.

تقدم بقوة ناحية البوابة الرئيسية للقصر ،فأعترضه الحراس طالبين منه التعريف عن نفسه.

بعد أن عرفوه فتح الباب الكبير أمامه ،دخل ليجد نفسه في قاعة كبيرة تملأها الأعمدة التي تصل الأرض بالسقف، و بجانب كل واحد منها مشعل ناري ، تقدم بخطى مستقيمة، لكنه لا يعرف إلى أين يذهب فقط تقدم، و تقدم حتى وصل إلى الجانب الآخر منها فوجد نفسه أمام باب آخر، و فور استقراره أمامه بدأ يفتح تلقائيا عبره ليدخل قاعة أخرى اصغر من الأولى شاهد فيها ما رأى في سابقتها، استمر بالتوغل داخل القاعات الواحدة تلو الأخرى حتى وصل أخيرا إلى باب صغير، أحنى قامته ليتمكن من عبوره.

استكشف المكان الذي وصل إليه، وجده مختلف عما سبق، لا أعمدة و لا مشاعل، امتد بصره إلى نهاية المكان ليجد كرسي كبير تحيطه النيران من ثلاثة جهات يجلس عليه رجل كبير في السن

ادمي الشكل و الجسد ذي لحية كبيرة، و هو قصير القامة نحيف البنية يرتدي رداء اسود، عرف انه جمهر الحكيم ،تقدم ناحيته ملقيا التحية عليه و معرف بنفسه.

رحب جمهر به بشكل مبالغ فيه، ثم نهض من على كرسيه و تعالت السنة اللهب، لاحظ الشاب إن فم مضيفه لا توجد فيه أسنان اعتيادي بل أنياب طويلة متراصة بشكل بشع.

أخذه بين ذراعيه، وقال:

- طال غيابك بني! أهلا و سهلا بك بين اهلك.

ثم شمه، وقال:

- ما أجمل رائحة الحقد و الكراهية التي تفوح منك، إنها عطرة و ذكية، هيا اخبرني عن رحلتك؟

سرد له الأحداث كلها منذ لحظة إحراق كوخه حتى وصوله إلى أحضانه.

بعد ذلك اصطحبه إلى أعلى القصر و أدخله غرفة كبيرة فيها سرير مصنوع من العظام، ثم قال له:

- هيا ارتح، أنت لم تنم منذ زمن.

أجاب معترضا:

- تعلم أني لا أنام!

ابتسم ابتسامة مرعب، ثم قال:

- لا عليك ستنام طويلا، بعدها أجهزك لرحلة لقاء العظيم و تحريره، فقط مد جسدك على الفراش، انه سرير الأحلام.

استلقى وغط في نوم عميق دون أي مقدمات، راوده حلم رأى فيه كل أحداث حياته، استيقظ ليجد الحكيم أمامه، أراد إخباره بما شاهد في نومه، لكنه قال له:

- نعم، علمتُ ما تريد قوله، لكني أود إخبارك بشيء...، بعد نهوضك من على السرير لن تتذكر من حياتك التي انقضت حتى دخولك أرض "الاران" شيء ، و سيكون غاية همك هو إنقاذ الإله .

اصطحبه جمهر إلى أسفل القصر، سأله هرمز في الطريق.

- إلى أين نذهب؟

أجابه:

- أريد أن اريك أمراً هام.

بعد وصولهما للطابق الأرضي قام جمهر بفتح إحدى الأبواب السرية المخفية في الأعمدة، نظر و إذ به سلم طويل يتجه إلى الأسفل.

قال لضيفه:

- هيا بنا.

نزلا الطبقة تلو الأخرى، و هرمز يشاهد كائنات غريبة متواجدة في كل طابق، فمنها من يسير على أربع مكسو بالفراء و يحمل الحجارة صعودا و نزولا، و منها الأقزام ذات العين الواحدة التي تقوم بالنفخ في النار إضافة للغيلان التي تحمل أصناف الطعام.

ظل الضيف يشاهد تلك المسوخ حتى وصلا لنهاية السلم، ثم توجه به الحكيم إلى باب حجري بدا عليه انه موصد منذ قرون طويلة.

دمدم جمهر بكلمات لم يفقها الشاب، و بعد انتهائه من ذلك فتح الباب و خرجت ريح تحمل الكثير من الأتربة.

دخل الحكيم أولا، ثم دعى هرمز، وعندما استقر في الداخل حاول أن يرى شيء إلا أن بصره الثاقب لم يسعفه هذه المرة.

أشار الحكيم بيده إلى احد الجدران فاشتعل نار مستعرة و وضحت الرؤيا، أغلق الباب، طلب من ضيفه الجلوس على كرسي مصنوع من الذهب وضع في وسط المكان.

قال:

- **سوف أعطيك أول دروسك ... ثم استرسل قائلا...، سأريك المعركة الأخيرة التي خاضها الإله العظيم و كأنك في قلب الحدث.**

صفق بيده عدت مرات، فبدأ تلميذه يرى الصراع الدامي، شاهد ملك الهلاك و هو يضرب بأسلحته فيسقط عشرات الجنود من البشر، و شاهد أقوام يشبهون المزارع يهجمون على الجند فيحيلوهم إلى أكوام من العظام النخرة ،و طيور غريبة الأشكال تلقي بالصخور على أعدائها، و مع الكثير من المشاهد الدموية،انتعش هرمز لرؤيته البشر يبادون بأعداد كبيرة، فجأة و دون مقدمات سطع نور من السماء يخطف الأبصار، ثم خرج من بين ثناياه مجموعة من الرجال ذوي أجساد كبيرة و أجنحة بيضاء يحملون سيوف و دروع.

نزلوا قاصدين ملك الهلاك، و بعد وصولهم مقصدهم قاموا بتكبيله، و حمله بكل بساطة رغم ما يملك من قوة خارقة، ثم طاروا به إلى غابة كبيرة، بعدها هبطوا وسط مبنى غريب الشكل، فتحوا تابوت ضخم و قاموا بتجريد أسيرهم من كل شيء، كان وجهه مظلم لا يمكن معرفة تقاسيمه، بعد استقراره في التابوت قيدوه بسلسلة من فضة و القوا عليه سائل يشبه الماء، كان يرتجف و يطلق

الصرخات و يخرج منه دخان كثيف، لم يمر الكثير من الوقت حتى صمت و ما عاد يحرك ساكنا.

قام الرجال بإغلاق التابوت و ختمه بختم ابيض اللون مكتوب عليه، (هذه لعنة الأجداد، و اللعنة على من يفكها موقظا اللعين)، بينما هم يضعون الختم أطلق حبيس التابوت صيحته الأخيرة، التي كانت عبارة عن تمتمة ألقى عن طريقها بشارة المختار...

انطلق ذوي الأجنحة عائدين من حيث أتوا، هرب الجيش بعد تمكن البشر قتل العديد منهم.

انتهت المشاهدة، ثم قال جمهر:

- **بقي عليَّ تعليمك لغة أهل هذه الأرض، و بعض فنون السحر التي لا يتقنها غيري، تفضل معي لقاعة الدرس حتى نبدأ عملنا فلا مجال للتأخير.**

بينما هرمز يتتلمذ على يد أستاذه كان أهالي قرية (الزاديشموتية) في طريقهم إلى جبل المرارة تمهيدا لخروج إلههم.

أما شفاء فقد وصلت هي الأخرى إلى قصدها و برفقتها جيشها ، وقفوا مكونين سداً منيعا يفصل بين الجانبين منعا لأي اختراق قد يحصل.

كانت الطيور تنقل لها أخبار القادمين و تقدمهم، فرحت كثيرا لتلك الأنباء، و أحست أن لحظة الخلاص منهم باتت قريبة، فهم بذرة الشر في أرض النور.

في تلك الفترة عاودت الكوابيس زيارة الملك الأبيض ،و بدأت تتضح في تفاصيلها يوم ، بعد يوم حتى بان له شكل هرمز ، لكنه لم يعر للأمر أهمية.

أما هشام و بعد أن ابتعد كثيرا عن مكان قتله للغيلان و هو يحمل الفتاة بين ذراعيه قام بوضعها على الأرض و حاول إيقاظها بصفعات خفيفة على خديها.

أفاقت و هي في غاية الرعب، حاولت الفرار منه لكنه منعها، ثم قال لها و هو يحاول تهدئتها:

- هدئي من روعك ، لا تخافي ، أنا ادمي مثلك و قد خلصتك من الوحوش.

هدأت قليلا بعد نظرها لوجهه و تأكدها من أدميته ، ثم قالت له بكلمات متعبة:

- كيف تقول انك من خلصني، وأنا لم أراك هناك؟!!

اخبرها بقصة الرداء، ثم اخرج لها شيء من ملابسه لكي ترتدي.

قال:

- ما حكاية الغيلان معك؟

قالت:

- أنا أعيش في قرية الأطلال، كنا نحتفل بعيد مولدي، و بعد انتهاء الحفل اتجهت لغرفي لكي أنام و كنت منهكة من شدة اللهو و الرقص، استلقيت على السرير و استغرقت في نوم عميق، و عندما استيقظت وجدت نفسي في قفص حديدي، هذه قصتي، فما حكايتك؟

سرد لها أجزاء مختارة من الأحداث التي مرت به و سبب وجوده في هذه الأرض.

قالت:

- أنا جائعة، ألديك طعام؟

وضع في فمها قطرة من السائل السحري.

قال:

- أشبعت؟

أجابته بالإيجاب، ثم ضحك، فقالت له مستغربة:

– ما سبب ضحكك ، هل وضعت لي شيء في الذي سقيتني؟!

قال:

– لا، لكنا تحدثنا في كثير من الأشياء و نسينا أن نعرف أسمائنا لبعضنا.

ضحكت هي الأخرى، ثم قالت:

– أنا نور، و أنت؟

قال:

– هشام... ثم استرسل قائلا... ، تحبين أن تكوني رفيقتي في هذه المهمة، و بعد إنهائها أوصلك إلى اهلك؟

صمتت قليلا وهي تنظر إلى عينيه، فوجدت فيهما بريقا يدل على الثقة و الشجاعة مما جعلها توافق دون أي حسابات لما قد يتخلل تلك الرفقة من مخاطر.

في تلك الأثناء كان هرمز يتلقى التعليم على يد جمهر، بعد فترة من الزمن ليست بالطويلة أنهى الاثنان عملهما .

قال الحكيم:

- الآن وصلنا إلى المرحلة الأخيرة، لم يبق أمامي سوى إعطائك المواد التي ستستخدمها في فك اللعنة.

طلب منه إخراج الكتاب الذي يحمله معه، و الذي نسيه و نسي محتواه، قال جمهر:

- عليك خلط جميع المواد المذكور في الصفحة مائة و خمسة عشر ، ثم ترشها على جسد "السيد" و أنت تقرأ تلاوة فك اللعنة الموجودة في آخر صفحة بالكتاب و بشكل مستمر دون أي تلكؤ أو توقف ، و إلا ستحصل الكارثة ، لا تنسى اقرأها بلغة أهل ارض "الاران" ... صمت يتلوه صمتا، ثم قال الحكيم الأسود... هكذا لم يبقى لي سوى شيء واحد أخبرك به ... صمت .

قال:

- ما هو ؟

قال:

- ملك الجان "سموريه" الذي ستلاقيه أعلى جبل الثلج ـثم تنهد يتبعه شهيق عميقـ احذره فهو مخادع قوي شديد

البطش ، تعامل معه معاملة الند للند ، لا تظهر له أي موطن لين أو ضعف ، فيستغلك و يهلكك... ، هيا بنا لأجهز وسيلة نقل توصلك إلى قمة الجبل.

أمر أحد خدمه تجهيز حصان النار (كمعمعة)،قال هرمز متسائل:

- **هو حصان حقيقي و أنت أطلقت عليه هذا الاسم أم هو مخلوق آخر مختلف؟**

أجاب:

- **في المظهر الخارجي هو حصان ذي لون داكن، لكن جوهره مختلف فقد صنع من أعمق نقطة في وادي الجحيم، أحذرك منه في شيء.**

قال:

- **ما هو ؟**

قال:

- **غروره و عجرفته، فهو يرفض من يُمتطى.**

قال:

- **هذا أمرا يسيرا، سأجعله مطيعاً.**

بعد إنهائهم للحديث جيء بالحصان، كان صوت صهيله يعج في المكان و الخدم يحيطون به من كل جانب متشبثين بحبال عديدة وضعت في رقبته.

صاح هرمز:

- دعوه لي.

ابتعد الجميع و بقيا وجها لوجه، نظر في عيناه نظرة حادة، فلم يستطع الأخير المقاومة كثيراً، خضع جاثماً على الأرض معلنا الطاعة.

ضحك الحكيم بفخر، و قال:

- حقا أنه من نسل الملك العظيم...

بعد أن اعتلى صهوة حصانه قال لمضيفه:

- أبقي شيء أم انطلق مستأنف رحلتي ؟

قال:

- الحذر، الحذر من مكر المخادع ، كذلك احذر ذئاب الجبل فهي مخلوقات لا ولاء لها إلا لملك الجان، و سأرسل معك مرافقين يعملان على درء الأخطار عنك حتى وصولك قمة الجبل .

قال:

- من هما ؟

أجابه و هو يخرج من جيبه قطعتين من الماس الأزرق و يلقيهما على الأرض:

- إنهما ظلان، الأول القط الأسود "ضام"، والثاني الخنزير البدين (تام)، سيكونان خير عون لك و سيسيران على جانبي مسيرك تحت الأرض ، لن يظهرا إلا إذا تطلب الأمر ذلك.

بعد استقرار الماستين على الأرض ، دمدم الحكيم بكلمات فخرج النائمين .

في تلك الأثناء بدأ هشام باجتياز ارض الغيلان حراس بحيرة الأرواح، و بجواره نور ترتجف خوفاً، أما هو فأحس انه شفي من دائه المزمن.

كان المكان عبارة عن أكواخ ذات أشكال دائرية، و الرائحة النتنة تفوح من كل شبر.

استمر بالتقدم و المناظر التي تدعو للاشمئزاز تحيط به و زميلته.

كان صغار الغيلان يقتاتون على فضلات سواهم من الكبار، و يشربون المياه الآسنة، كما كان بالغيهم لا يفوتون فرصة للعراك حتى الموت إلا و اقتنصوها.

هرمز الجديد

اقترب أهالي القرية كثيرا من الحدود الشمالية لأرض النور، و شفاء تعلم بكل تحركاتهم، فأعلنت حالة الاستعداد القصوى لإبادتهم، ثم خطبت بالجنود. قالت:

- يا أبناء قومي، من ستلاقون اليوم ليسوا أبطال أو شجعان، إنما هم متلونين غدارين يحاولون كسب عطف خصمهم إن أحسوه قوي، ثم يغدرون به متى ما سنحت لهم فرصة، فاحذروا من عيونهم الدامعة و وجوههم الذابلة.

لم يمض الكثير من الوقت حتى وصلت طلائع القوم، فنطحهم الجيش بالنبال .

بدأت المعركة و اشتد وطيسها، و تعالت صيحات عبدة النار معلنين إنهم جاؤوا مسالمون، لكن قائدة الجيش لم تكترث على الرغم من أن قلبها كان يرق عندما تسمع صراخ الأطفال وعويل النساء، و مع نهاية النهار قتل من قتل و فر الباقي، لم تخسر جندي واحد من جيشها.

في تلك الأثناء هرمز ترك قصر الحكيم وراء ظهره متجها إلى أعلى جبل الثلج ، لم يشاهد حوله ما يثير الريبة فقط الكثير، الكثير من الثلج رمادي اللون.

استمر في التقدم لم يؤثر عليه البرد القارس في ذلك المكان، فحصانه كان يمده بالدفء إضافة لملابسه ، لم يكن هناك ما يدل على زيارة البرد له سوى انفه المحمر.

وصل لمنتصف الطريق، فبدأت المناظر تتغير و مال لون الأرض إلى الحمرة في أجزاء منها و في أخرى إلى السواد، و بدت تضاريس المكان غير مستقره فتارة تظهر مرتفعات صغيرة و أخرى تظهر حفر و تختفي كما ظهرت مسرعة.

ناداه ضام من تحته:

ـ سيدي سندخل منطقة ذئاب الجبل بعد اجتيازنا هذا المكان، أرجو منك الحذر، أنا و زميلي سنتكفل بكل شيء.

وصل هشام و رفيقته إلى ممر حجري ضيق معلق في الفضاء، خطى أولى خطواته بكل عزم إلا أن قشعريرة غريبة سرت في جسده، و الفتاة ممسكه بذراعه و هي ترتجف خوفاً.

تقدما معاً، و هو لا ينفك يهدئ من روعها، وفي نفس الوقت هو مستمتع بذلك التشبث من قبلها، فالمشاعر اضطربت و تضاربت داخله، فهو الذي لم تنظر إليه امرأة في حياته.

بعد قطعهما مسافة لا بأس بها وصلا مكان من الممر فيه غبار و أتربة عدمت الرؤيا لديهما، فبدءا يستخدما أرجلهما بدل العيون ليتمكنا من شق طريقهما.

بعد بضع عشرات من الأمتار اتضحت الرؤيا لديهما، وجدا نفسيهما على الممر عينه، لكن تحته مسطح واسع من المياه الضحلة ذات الرائحة الكريهة، ضرب الشاب بصره في جميع الاتجاهات محاولا إيجاد اليابسة دون جدوى، ثم لاحظ وجود فقاعات غريبة الأشكال و الأحجام تخرج من تلك المياه.

كانت نور لا تتوقف عن إطلاق توسلاتها للعودة من حيث جاؤوا، إلا أن الشاب لم يكترث لذلك.

أما هرمز فقد توقف عند مفترق طرق يتفرع لأكثر من عشرة اتجاهات ، فضل في حيره أيهما يختار.

لحظات تفكير عميق اقتحمها تام، قائلاً:

ـ سيدي الذئاب قادمة نحونا، يبدو أنها عرفت رائحتك، أرجو منك الحذر لكي لا تصاب بمكروه.

أجاب بانزعاج:

ـ الذئاب، الذئاب حفظت هذا الاسم التافه...

بعد حديث الاثنين بوقت قصير أحس هرمز إن الأرض تهتز تحت حصانه ، ظهر الظلان على وجه الأرض استعدادا لخوض المعركة،تفقد ببصره المكان عله يدرك احد تلك المخلوقات، ففوجئ بهم يحيطون به و مرافقيه من جميع الاتجاهات.

كائنات بأشكال بشعة مرعبة يسيرون على قوائمهم الخلفية فقط، ألوانهم داكنة كلون الأرض التي يقطنون،و لهم ثماني عيون في رؤوسهم،شعر أجسادهم كثيف جداً و مخالبهم طويلة و معقوفة، رؤوسهم صلعاء و لا يوجد لديهم أذنين، لم يكن هناك ما يربطهم بالذئاب سوى الأنياب الطويلة الحادة، صدورهم هي الأخرى فيها أنياب كبيرة بارزة إلى الأمام، أما أصوات عوائها فقد كان عبارة عن فحيح أفعى ممزوج ببكاء طفل و آهات امرأة.

بدأت المعركة بسرعة و دون أي مقدمات، كانت الذئاب تزداد عدداً كلما قتل احدها.

ركز الظلان جهديهما على حماية سيدهما و درء أي أذى عنه، طال القتال و مل هرمز من الانتظار فترجل من على صهوة حصانه، ثم تقدم ناحية تلك المخلوقات بمنتهى الهدوء،لاحظ تام و صاحبه ذلك فحاولا إبعاده، لكنه رفض، و بينما هم على هذا الحال هجم ذئب عليه محاولاً تمزيقه بمخالبه إلا انه كان أسرع، فأمسك

به من رقبته و رفعه عاليا، ثم قذفه بعيدا، بذلك دخل المعركة ،فبدأ يقطع الأشلاء و يجز الرؤوس بسرعة أذهلت حارسيه.

ازداد غضبه و ارتفعت وتيرة القتال حتى وصل إلى حد لم يعد يُرى عندما يتنقل بين أعدائه، كل ما كان يُشاهد هو تناثر الأشلاء هنا و هناك.

انتهت المعركة بفوزه و فناء جميع أعداءه إلا واحد منهم ترك حيا للاستجواب، طلب من أسيره إخباره عن ما يريد، لكن الأخير رفض، قام بتعذيبه من خلال تقطيع أطرافه و اقتلاع عيونه دون جدوى، مما أوصله إلى أوج غضبه، ثم بدأ باقتلاع أنيابه الواحد تلو الآخر حتى وصل إلى نابه الكبير.

قال له الذئب:

ـ انتظر سأرشدك، لكن لا تقتلع هذا أرجوك.

قال:

ـ هات ما عندك قبل نفاذ صبري.

الذئب:

ـ الطريق الرابع إلى اليسار.

قال:

ـ ما الذي يدعني لتصديقك، سأقتلع نابك لزيادة الضمان.

قال، الذئب و هو يتوسل:

ـ صدقني انه الطريق الصحيح، و لزيادة طمأنينتك خذني معك.

ضحك،ثم قال:

ـ ما حاجتي بمخلوق جبان مثلك...

قطعة نصفين، ثم صرخ بصوت مدوي، و هو يقول:

ـ أنا (أُوششعالاوسن)، القوي مختار الإله الكبير (أُوشلاتشاواد)، هل هناك من يريد الموت على يدي؟

دوى الصوت في المكان و ارتج الجبل، اعتلى صهوة حصانه قاصدا قصر ملك الجان.

كان هشام و نور قد توغلا في أعماق بحيرة الأرواح على الممر الحجري، و المناظر التي يرون أخذت بالتغير، فالفقاعات التي تخرج من المياه أصبح حجمها اكبر و عندما تنفجر تصدر أصوات لأناس يتعذبون، و قطع الضباب الصغيرة تجول هنا و هناك .

لم تعد الفتاة تكتفي بإمساك ذراع الشاب بل احتضنته لشدة هلعها.

استمرا في التقدم حتى اتضحت الرؤيا أمامهما، شاهدا الفقاعات بكل وضوح، كان في داخلها أجساد بشرية سلخت جلودهم، تقذف في السماء عاليا عند انفجار الفقاعة ثم تعود إلى المياه لتخرج من جديد و هي تشير بأيديها طالبة النجدة.

ما لبثا أن سمعا صرخة أخرى مختلفة، لكن هذه المرة مصدرها السماء من شدتها كاد يغشى على نور.

نظر هشام ناحية السماء متتبع الصوت، فشاهد مجموعة من المخلوقات الطائرة لها أجنحة جلدية و ذيول طويلة، رؤوسها مدورة و أذانها كبيرة، في وسط رؤوسها خراطيم قصيرة معقوفة و أجسادها عملاقة لا يغطيها أي ريش أو شعر، ألوانها سوداء مائلة للبني.

تحلق فوق المياه و هي تنقض بين الحين و الآخر على ما يخرج من الفقاعات، لكنها لا تتمكن من القبض على تلك الأجساد فتعاود الكره بلا فائدة.

بينما الشابان على هذه الحال كان هرمز يتقدم صعودا و الغضب لازال مسيطر عليه على الرغم من محاولاته العديدة في تهدئة روعه بنفسه، ثم بدأ يشعر بسخونة في رأسه، و جسده يتشنج شيء فشيء، لاحظ الظلان اضطراب سيدهما، فحاولا الاستفسار منه لكنه لم يعرهما اهتمام.

أخيراً تمكنت منه تلك الأعراض، سقط أرضاً و هو يرفس كالذبيحة، بقي على هذا الحال فترة من الزمن و الظلان في حيرة من أمرهما لا يعرفان ما يفعلان.

صاح بهما قائلا:

ـ حثا عليَّ الثلج أيهل المغفلين...

نفذا الأمر على الفور و بدئا يرميان عليه الثلج بكميات كبيرة لكنها تذوب على الفور، واظبا على العمل و لم يمر وقت طويل حتى توقف الثلج عن الذوبان و اختفى جسده تحت كومة من الثلج بدون حراك، توقف الظلان عن العمل بانتظار نهوض سيدهما.

مر الوقت دون حدوث شيء، فبدءا يزيلان الثلج، و قبل أن يمدا أيديهما اهتز مكانه و نهض هرمز، صلب عودة واقفاً، كانت مفاجأة للظلين و بقيا مسمرين في مكانهما مأخوذين بما أمامهما.

قال لهما:

ـ ما بكما أيها المغفلين ؟ لماذا تنظران إلي بهذه الطريقة!

أجاب ضام متلعثم الكلمات:

ـ سيد إن شكلك تغير، لقد...، تحولت إلى...!

قال مستغرباً:

ـ ماذا تعني بقولك هذا؟!

أجاب:

ـ انك تحولت، لقد أصبحت تملك ملامح لا تشبه ما سبق.

قال :

ـ كيف ذلك؟!

نظر إلى يديه فوجدهما تحملان مخالب طويلة، و قد تحول لون بشرته إلى اللون الحبري الغامق، و اختفى الشعر الذي يغطيه بغزارة، لم يصدق ما يرى و بدأ يتحسس ملامح وجهه، لكنه عجز عن تميزها.

قال لضام:

ـ اخبرني عن شكلي الجديد...

قال:

ـ لون بشرتك أصبح حبري، و لم يبقى في وجهك، أو أي مكان ظاهر من جسدك شعر، أما وجهك ،فعيناك لم تتغيران و انفك أصبح كبير و فتحتاه من الأعلى، و فمك فقد غلظت شفتاه و امتلئ بالأنياب شبيهة الإبر الصغيرة المتشابكة، و جسدك لم يتغير عدا

اللون، و من الخلف برز لك ذيل نهايته رأس سهم، و قدماك كما ترى ازدادتا حجما ، هذا ما أراه من تغيير خارجي.

أطلق هرمز صرخته المدوية، ثم قال بصوت عالي و كأنه يخاطب العالم بأسره:

ـ ها أنا اكتملت و أصبحت جاهزاً.

صمت قليلاً، ثم عاود الصراخ قائلا:

ـ أنا جاهز للقائك، أبي حتى أُخلصكَ مما أنت عليه.

ضرب بقدميه ارض الجبل فتصدعت من تحته، صرخ مراراً و تكراراً حتى أنزلت الغيوم ما في جوفها من مطر اسود و ثلوج رمادية.

بعد ذلك قال للظلين :

ـ انصرفا قد أديتما واجبكما، سأكمل طريقي برفقة حصاني فقط.

في تلك الأثناء اصطحبت شفاء جزء من جيشها منطلقة بهم إلى قرية عبدة النار حتى تقضي على ما تبقى منهم.

كان منظر الجيش و هو يحلق في السماء كغمامة صيفية بيضاء يثير الراحة في النفس.

بعد أن قضى الجيش على ما تبقى من الفارين هدموا منازل القرية و معابدها، ثم حمل الجنود الماء من بحيرة قريبة و صبوه في المكان حتى أحالوه بحيرة صغيرة هو الآخر، ثم أمرت شفاء من معها بالعودة أدراجهم و الانضمام لزملائهم، أما هي فانطلقت قاصدة الجزيرة الشرقية.

سفرا ليس بالشاق وصلت الطيبة إلى الملك الأبيض و كان نائم بعد إن خاض غمار ليلة حمراء.

دخلت مخدعه من خلال الشرفة الكبيرة، ثم تقدمت ناحية سريره، كانت هيئتها و هي تسير تأخذ العقول لما تحمل من رشاقة و جمال لها طريقة مميزة في المشي، إذ عندما تدب إحدى قدميها على الأرض تصدر الحان رنانة تفتك بكل عاقل صبور.

وقفت بقرب سريره الذي يستلقي عليه كالقتيل، الشيء الوحيد الذي يدل على انه حي شخيره المزعج.

نادته:

ـ حسام، حسام استيقظ.

لم تجدي نداءاتها نفعاً، اقتربت منه أكثر و همست في أذنيه، فاستيقظ مفزوعا و هو يصرخ، و يقول:

ـ من، من أنا لم اقتل أبي، أرجوكم لا تقتلوني!

استعاد وعيه فوجد أمامه الطيبة بكل ما تحمله من جمال ، نظر إليها بتمعن ، فقال بعد أن رسم ابتسامة عريضة على محياه:

ـ من أنتِ، يا حلوه؟! من الذي أدخلك إلى هنا ؟!

كانت مؤدبة معه لأنها في نهاية المطاف تخاطب ملك من نسل ملوك.

أجابته:

ـ أنا شفاء ابنة الملك ننماخ، جئت أخبرك بأمر هام، لذا أرجو من جلالتكم أن تصغوا إلي جيداً و ترافقني إلى قاعة العرش نتدارس في الأمر.

انحنت له تقديراً واحترام، بعد استقامتها،غير جلسته وهو على سريره محاولاً الظهور بمنظر مهيب.

قال:

ـ لِمَ القاعة يا عصفورتي ...، تعالي نتحاور و نتناقش نقاش ملتهب على السرير، هيا قطتي الصغيرة.

أشار بيده إليها كي ترتمي بأحضانه حالها حال أي غانية يعجب بها لص في حانه.

استشاطت غضباً و ندمت على احترامها له، ثم أشارت بيدها على آنية ممتلئة بماء الورد، فصارت طوع أمرها ، جعلت محتواها يستقر فوق رأس الرجل.

قالت:

ـ أفق من سكرتك، انك تخاطب أميرة ابنة ملك، و ليست غانية تتجول في أسواقكم أيها البشري المغرور.

صرخ طالبا نجدة حراسة ممن اسماه ساحرة، استدعت هي الأخرى عربتها، و وضعته داخل العربة بالطريقة التي تعاملت بها مع الآنية، ثم انطلقت بعربتها إلى كبد السماء.

بينما الطيبة تقوم بعملها على أكمل وجه، كان هشام يحمل نور بين ذراعيه بعد فقدانها لوعيها، منطلقا بها.

بينما هو يسير بخطى سريعة استوقفه منظر أثار الاضطراب و الغرابة لديه، كان عبارة عن صخرة كبيرة طافية فوق الماء يجلس عليها عملاقين كل واحد منهما بيده مطرقة يضرب بها رأس الأخر حتى يحطمه ، ثم يقومان بأكل أدمغة بعضهما، و بعد نفاذ الطعام يدخلان رأسيهما إلى الماء فيعودان كسابق عهديهما.

ظل يتقدم مسرعا و بدأ الطريق بالارتفاع، كان كلما أحس بالتعب نظر إلى وجه زميلته الملائكي...

أوشك هرمز على الوصول إلى قمة الجبل، لم يعد يفصل عنها سوى بضع مئات من الأمتار، لكن الغريب في الأمر انه لم ير القصر المزعوم مما أثار الريبة داخله ...،فكر بصوت عالٍ:

ـ خدعني جمهر، سأعود إليه و افصل رأسه عن جسده.

توقف الحصان فجأة و أدار رأسه بشكل دائري ناحية المختار ، ثم حدثه بصوت بشع مخرجا مع الكلمات أنفاس ذات رائحة كبريتية.

قال الحصان:

ـ سيدي الحكيم لم يخدعك، بل من يحاول خداعك هو ملك الجان بإخفائه القصر عن الأنظار، عليك التركيز فلديك بصر يكشف الأشياء التي تختفي بالسحر.

بدأ الملك الأبيض يستعيد وعيه، و عندما أفاق بالكامل وجد نفسه على ظهر عربة تطير في السماء و إلى جواره شفاء.

ما انفك يتوسل، كي تعيده إلى الأرض مطلقا الاعتذارات على ما بدر منه.

قبلت اعتذاره على الرغم من علمها بكذبه، هبطت بالعربة على إحدى الغيوم، ترجلت سائرة على الغمام بخطى رشيقة ، حاول اللحاق بها لكنها حذرته.

قالت:

ـ انتظر لا تقم بهذا، أنت غير مؤهل لفعل ذلك.

التزم بكلامها، ثم اطرق قائلاً:

ـ سيدتي، كنت تودي الحديث معي بموضوع مهم.

قالت:

ـ نعم، الأمر الذي أخبرك به مرجان.

حاول إظهار التأثر و الحزن، ثم قال:

ـ آه من ذلك الخائن الذي طعنني في قلبي، آه كم كنت اجله و اقدره، لكن الجشع مرض مهلك يعمي البصر و البصيرة.

أزعجها ما سمعت، و قالت:

ـ كف عن الكذب، إني اعرف كل شيء، مرجان لم يكن خائن بل رجل صالح و شجاع، محب لكل البشر و هذا سبب تضحيته بروحه، إن كان ثمة خائن فهو أنت، يا سيد حسام ـثم صمتت قليلا و هي تحاول الهدوءـ أتذكر في الماضي عندما كنت شابا كيف وضعت السم لأبيك و أخوك حتى يؤول إليك الحكم، إضافة لذلك ضحيت بإنسان حكيم يندر وجوده في زمننا هذا الذي امتلأ بالكذب

و الطمع و أنت جزء منه، لا اعرف ماذا ستفعل في المستقبل حتى تحافظ على كرسي حكمك.

لم ينطق ببنت شفه أثناء كشفها للحقيقة، بعد أن انتهت، قال لها و هو يحاول إظهار تعبير الخجل.

ـ دعكِ من الماضي، حدثيني عن الحاضر، ماذا تريدين مني بالضبط ؟ إني على استعداد لتلبية كل ما تأمرين به.

إجابته و هي تحاول سحق ما تبقى من عنجهيته:

ـ لا أريد شيء، سوف القي بك من هنا، و أرني كيف تنقذ نفسك؟

ذهل من كلامها و حاول الحديث معها مستعطفاً، فلم يستطع و كأن لسانه عقد.

أمرت عربتها أن تنطلق به إلى الأعالي، ثم تقذفه من على ظهرها.

تركته يخوض هذه التجربة المرعبة مكتفية بالنظر إليه و هو يهوي إلى أسفل و صوت صراخه ملأ السماء.

اقترب من الأرض كثيرا و هو يبكي و يولول ، ففوجئ بالعربة تنقذه، كان لون وجهه ازرق و اللعاب يسيل من فمه بغزارة.

بعد تحطم جبروته، عادت به إلى مملكته و هو معلق من إحدى رجليه أسفل العربة في منظر يثير الضحك لكل من يراه، طافت به في المملكة بأسرها، ثم أعادته إلى القصر، أمرته أن يرسل جيش كبير إلى البوابة الشمالية على وجه السرعة، و قبل مغادرتها قالت له محذرة :

ـ إذا لم تفعل، سأعود لأقتلك.

انطلقت قاصدة وجهتها الثانية.

في تلك الأثناء كان هرمز يحاول التركيز كما أوصاه "حصان النار" ، لكن دون جدوى و هو على هذا الحال ساورته رغبة بالصراخ فحاول كبحها أطول فترة ممكنة دون جدوى، أطلقها مدوية، ثم بدأ يتحدث بكلام لم يرتبه داخله.

قال:

ـ بسم الإله و الملك الشرير، أظهر أمام خادمه و وزيره، أوفي بالعهد المكتوب، و إلا ستهلك.

اهتز الجبل برمته و بدأ يظهر أمامه شيء غاية في الضخامة و الضباب يلفه... لحظات و بانت الرؤيا، شخص أمامه القصر كاملاً، كان شاهق الارتفاع يخترق بقمته الغيوم السوداء.

كان قصر عريض القاعدة حلزوني الشكل لونه كالأرض التي شيد عليها و له أبواب و نوافذ لا تعد و لا تحصى على بوابته الرئيسية حراس كثر لهم قرون، و أرجلهم نحيفة ذات شعر و حوافر، أما عيونهم فمدورة بدون جفون و أفواههم بارزه للأمام بأنياب ضخمة صفراء، أجسادهم نصفها الأعلى بشري.

في سماء القصر كانت تحوم مخلوقات ضخمة لها أجنحة كبيرة و أعناق طويلة و أجسادها، أجساد خنافس، لا تملك عيون في رؤوسها، و تطلق صفيراً مزعج بين الحين و الأخر.

بعد استكشافه لكل ذلك هم بالدخول للقاء سموريه.

هشام و رفيقته التي استعادت وعيها وصلا إلى نهاية الطريق الحجري ليجدا نفسيهما أمام صحراء واسعة لا نهاية لها.

العهد المكتوب

قُرِع الباب، فنهض عامر يرى من الطارق في هذا الوقت المبكر، وجد امرأة ترتدي رداء ابيض و قد بان عليها الإعياء، طلبت منه السماح لها بالدخول، رحب بها كثيراً و أجلسها في صالة الضيوف ريثما يخبر زوجته، ثم أمر الخدم بإعداد طعام الفطور.

عندما وضع الطعام لم تصل يد المرأة إليه ما أثار حفيظة المضيف معتقداً أنها تريد بهم شراً، أو ستطلب منهم أمر عظيم.

قال لها مفترض حسن الظن:

- **تفضلي أختاه هاتي ما عندك، اعرضي طلبك، و سأقضيه إن استطعت.**

أجابته:

- **أحب تعريفك بنفسي أولا، ثم أطلعك على حاجتي ، ادعى...، ابنة...**

سردت له قصة هرمز الذي يعرفه.

قال:

- **سيدتي أنا ورجالي طوع أمرك، لكم يشرفني أن أقاتل من أجل بني جنسي.**

اتفقا على اللقاء عند مكان الملتقى، و أعطته خارطة يستدل بها، ثم عادت أدراجها.

في تلك الأثناء الشاب و الفتاة يسيران بين الكثبان الرملية لا يعرفان إلى أين يتجهان، و لا يعلمان أنهما داخل "صحراء الضياع"، واصلا السير حتى تمكن منهما التعب.

بينما هما على هذه الحال و يجر احدهما الآخر ظهر أمامهما عقرب ذا لون اصفر و حجمه بحجم منزل كبير.

خارت قواهما بالكامل عندما وجدا نفسيهما وجه لوجه أمام هذا المسخ الضخم، ثم بدءا الزحف تحته محاولين تفادي قوائمه المدببة التي تغرس في الأرض بين الحين و الآخر و قد أنساهما الارتباك أنهما غير مرئيان و إن الصحراء واسعة.

بينما هما على تلك الحال ظهر وحش آخر يضاهي الأول حجما و بشاعة و هو عنكبوت اسود.

بدأت معركة ضارية بين المخلوقين، زحفا، و زحفا لكن الفتاة أصيبت بجرح في ساقها نتيجة الزحف على الرمال الشبيه بالزجاج المحطم، استجمع هشام ما تبقى لديه من قوه و اخذ يجر نور هارباً من ارض المعركة، فجأة وبدون مقدمات وسط تلك الرمال شخص أمامهما كهف صغير، و دون تفكير حشرا نفسيهما داخله.

دخل هرمز القصر و بدأ ينظر إلى النقوش و الصور على الجدران و التي كانت تتحدث عن حروب كثيرة و عبيد يجرون بسلاسل من نار، و أحداث أخرى.

استمر في التقدم حتى وصل إلى باب اكبر من الذي دخل منه و هو مصنوع من الذهب و مرصع بالجواهر، يقف على جانبيه ماردان، أزرقان، طويلان، لم يتمكن من رؤية رأسيهما لعظم بطنيهما.

فتح الباب أمامه، دخل ليجد نفسه في قاعة ذات أرضية زجاجية يسبح تحته سمك متوحش غريب الألوان، متنوع الأحجام، نظر إلى جانبي القاعة فشاهد الكثير من الأعمدة التي تشبه الأرضية بمحتواها.

حاول رؤية النهاية إلا أن الظلام كان مسيطر على كل شيء، ركز بصره فاستطاع بصعوبة أن يبصر مقعد يستقر عليه شيء ما، تقدم ليكتشف ما هو، و أثناء تقدمه انشغلت أنظاره بتفقد ما تحته و فوقه من العجب العجاب، عندما أعاد بصره يتفقد مقصده وجد أمامه مباشرة مخلوق يحمل من البشاعة ما لا يمكن وصفة.

كان النصف الأسفل من جسده لذئب و الأعلى لتمساح يستقر عليه رأس ضخم جدا فيه ثلاث عيون مشقوقة بالمقلوب و فوق الرأس قرنان معقوفين للخلف و له انف فتحتاه كبيرتين،أما فمه فيشغل ما تبقى من وجهه و داخله لسانين الأول اسود والثاني احمر يقطر

دم، جسده مكسو من الخلف بالشعر حتى آخر ذيله العريض المسطح،و يتلون ذلك المسخ بين الحين والآخر بألوان عدة!

قارن هرمز بين حجمه و حجم ذلك المخلوق ليجد نفسه عبارة عن قزم يقف أمام عملاق.

قال:

- أهلا بك يا...، قد تأخرت كثيراً أتمنى انك لم تلقى نصباً في رحلتك؟

قال:

- من تكون؟!

قال و هو يضحك بهدوء:

- ألم تعرفني بعد؟ من أكون برأيك...احزر؟

قال بشيء من الانزعاج:

- أنا لا أحب الأحاجي و الضحك، اخبرني من أنت و إلا...

قال وقد ارتفع وتيرة ضحكه بعض الشيء:

- على مهلك أيها الشاب، العصبية تجلب الأوجاع...،أنا من جئت لمقابلته.

قال:

- هذا جيد، أريدك أن تدلني على الطريق المؤدي إلى غابة بابك، و بسرعة لا وقت لدي أضيعه.

قال:

- سوف أدلك، لكن يتوجب عليَّ ضيافتك، ثم اريك بعض مما عندي، يا سيد هرمز، تفضل بالجلوس.

جلسا و بدءا بتجاذب أطراف الأحاديث ، كان "سموريه" لبقاً و هادئ ملماً بكل شيء مما جعل المختار يحس بالارتياح، و انغمس بالإصغاء له حتى مر وقت طويل دون أن يشعر بذلك.

قال لضيفه:

- سوف اريك أهم شيء يربطني بملك الهلاك، و هو العهد المكتوب.

قال متسائلا:

- ما العهد؟

قال:

- انتظر قليلا و سوف اريك إياه.

صفق بيده بطريقة موسيقية، و بعد انتهاءه دخلت عليه مخلوقات صغيرة بحجم كف اليد و تسير على ستة قوائم ، لها ذراعين، رؤوسها مثل حبات الفاصوليا، ألونها حمراء، تحمل قطعة من الجلد ملئت القاعة بأكملها.

نهض ملك الجان، ثم قال:

- هذا هو العهد المكتوب، انه العقد الذي بيني و الملك.

سأله:

- على ماذا ينص؟

أجاب :

- وجوب طاعتي و انقيادي، أنا و جيشي الجرار، و في المقابل استلم الزعامة إن حصل له أي مكروه ... صمت طويل، و بنبرة حزينة و صوت هادئ ... أصدقك القول، لقد عانيت الكثير من الاحتقار و الامتهان لمكانتي عندما كان على وجه الأرض، انه لا يعرف إلا نفسه ...

صدم هرمز عندما سمع كلمات مضيفه، و قال في نفسه:

- أول شيء يجب يفعله ملك ال...، القضاء على هذا السموريه.

أسهب المضيف في حديثه عن قبائح و دناءة من عقد العهد معه، في النهاية توجه بالكلام إلى ضيفه.

قال:

- لدي عرض سخي لك، لم يسبق و قدمته لأحد، تسمعني بعقل أم لا تملكه؟

قال و هو يغلي من الداخل:

- هات ما عندك.

قال:

- حسب ما منصوص في هذا العقد أنا الآن ملك الشر المطلق و حاكم ارض " الاران" بلا منازع، و إذا أنت خلصته من لعنته سأكون نائبه و أنا لا أريد حصول ذلك، أما أنت فلن تحصل إلا على قيادة الجيش، هذا إن لم يقتلك بعد استعادته لقواه.

قاطعه هرمز قائلا:

- أين عرضك في كل هذا؟

قال:

- تمهل ...، عرضي هو جعلك نائبي و خليفتي مقابل عدولك عن فكرة فك اللعنة، ما رأيك في هذا العرض السخي؟

بدأ بالارتجاف من شدة الغيظ، قال بصوت مرتفع متوتر:

- أمجنون أنت؟ هل تريد مني خيانة الهي؟ ألا تعرف أن الدم الذي يجري في عروقي من دمه ؟ أأمرك باسم العظيم أن تدلني فوراً على الطريق المؤدي... و إلا...

أطلق سموريه ضحكة عاليه، ثم قال:

- من تحسب نفسك أيها الصعلوك؟ أنت مجرد ذبابة حقيرة استطيع سحقها بإبهامي دون أن أحس بها، أظن انه عليَّ استخدام الشدة معك.

ناد بصوت عالي:

- زينون ، أقشامش.

فدخلا إليه الماردان العملاقان، و قالا بصوت واحد:

- لبيك مولاي.

قال:

- خذا هذا الصعلوك و اطرحاه في سجن القصر مع تشديد الحراسة عليه.

حاول هرمز قتالهما لكن دون جدوى، و أخيرا قبضا عليه و قيداه بسلاسل من الجحيم، ثم اقتاداه إلى زنزانة صغيرة في أعماق القصر حيث لا احد يسمع صراخه، أو يتمكن من رؤيته.

بينما جرت الأحداث على هذا النحو في قصر سموريه، كانت أفواج من البشر في طريقها للالتحاق بالجيش عند البوابة الشمالية و هم من عامة الناس في المملكة الشرقية سمعوا بما حدث بين شفاء و ملكهم.

انطلقت ابنة ننماخ لاستقبالهم، فأخبروها إن ملكهم عدل عن فكرة إرسال الجيش و هم قدموا بدافع الدفاع عن أدميتهم، طلبت منهم مواصلة التقدم في طريقهم.

أما شيخ القرية هو الآخر يحث الخطى للالتحاق بالركب و برفقته عدد من شيوخ القرى المجاورة و رجالها مكونين جيش لا بأس به رغم تواضع أسلحتهم.

مرت أيام قلائل حتى بدأت طلائع الرجال تنظم إلى الجيش، ثم انتشر خبر سقوط الملك الأبيض من إحدى شرف قصره، تولى بعده وزيره " نمو العادل" مكانه على العرش.

هشام يعالج ساق زميلته و هما داخل الكهف، ثم طلب منها اخذ قسط من الراحة، الشاب يغفو قليلا لكنه يستيقظ بعد لحظات بسبب أصوات الوحوش المفزعة التي تشبه صوت خوار ثور مزج بضحكات عجوز شمطاء.

أما الفتاة فقد نامت بعمق، و بعد فترة استيقظت لتجد هشام جالس بجوارها يداعب شعر رأسها بيده.

أراد الشاب الخروج من الكهف ليستأنف رحلته، لكنها كانت مترددة كثيراً.

استوقفته قائلة:

- انتظر لا تخرج أحس بنسمات هواء باردة تأتي من أعماق المكان، لعل هناك مخرج آخر يخلصنا من التعرض للأذى، ما رأيك في التوغل إلى أعماق الكهف.

قال:

- لكني لا أحس بشيء، من الأفضل السير في الطريق المضيء.

قالت له بنبرة حنونة:

- الطريق الذي تريده مليء بالمخلوقات المرعبة، و أنا لم اعد أتحمل رؤيتها، باختصار أقولها لك إما تتركني هنا أو نمضي سوياً نستكشف الكهف لعلنا نجد مخرج لأزمتنا.

تفكيرا بعمق صاحبه خوف من خسارتها.

قال محدثا نفسه:

- لم لا نحن ضائعين أصلاً، لأجرب فكرتها عسى أن توصلنا إلى شيء نافع.

قال لها:

- وهو كذلك، هيا بنا نغص في أعماق هذا المكان المظلم علنا نجد ما ينير لنا وجهتنا.

كانت شفاء تستقبل المقاتلين، بعد انتشار الخبر في جميع أصقاع الأرض، و كانت تستعين ببعض المخلوقات الأخرى لنقلهم بسرعة إلى مكان التجمع، ثم بدأت بتنظيم صفوف الجيش الذي أصبح تعدادهم يفوق المائة ألف، و أوكلت لكل فرقة مهمة معينة.

كانت الأفعى تراقب تشكيل الجيش و تزايد عديدهم بسرعة، فقامة بكتابة رسالة لـ "سموريه" تخبره فيها عما يحدث، ثم أرسلتها مع " أليعازر" الوطواط وحيد العين، و الذي يسابق البرق.

وصلت الرسالة لملك الجان بزمن قياسي يفوق التصور، بعد اطلاعه عليها سلم الرد للوطواط.

فتحت الأفعى الرسالة و بدئت تقرأ فحواها ((من الملك العظيم سموريه ملك الشر المطلق إلى المخلصة "أولوجماو"، أما بعد:نحن لا يهمنا أمر تلك الكائنات الضعيفة، لذا أرجو منك عدم اتخاذ أي إجراء قد يرهقك فقط استمرِ في المراقبة، أكرر كلامي أنهم لا يستحقون اهتمامك المبالغ به فهم مجرد حشرات بائسة، أحيك على ولائك و أتمنى لك أوقات شريرة، التوقيع ملك الشر المطلق)).

من خلال رده و طريقة كتابة الرسالة أحست إن مكروه قد أصاب الشاب، إذ انه لم يسأل عنه، أو يذكره على عكس ما سبق من المراسلات التي لم تخلو من ذكر المختار و التلهف للقائه.

قالت في نفسها:

- **أخشى إن اللعين قد غدر بالمختار، عليَّ فعل شيء للتأكد من الأمر.**

بعد تفكير طويل كتبت رسالة شرحت فيها كل مخاوفها، ثم أرسلتها إلى الحكيم الأسود، بعد فترة أتاه الرد يطمئنها انه سيعمل ما في وسعه للتحقق من الأمر لان الشكوك نفسها تساوره.

قام جمهر باستدعاء الظل"ضام"، و أمره بالتسلل داخل قصر ملك الجان ليتقصى أثار هرمز و يتأكد من اجتيازه القصر.

انطلق مستعينا بالأرض و الجدران و السقوف طريقا يسلكها، بحث في كل شبر من القصر، لكن دون جدوى، ذلك لان المختار سجن في البعد الغير مرئي من القصر، و لا يستطيع احد الوصول إليه ماعدا بعض المقربين.

عاد إلى سيده خالي الوفاض، كذلك الذين أرسلهم يقتصون أثره عند بوابة غابة بابك عادون دون خبر يقين.

أعلن جمهر حالة الطوارئ في كل أرض الاران و السبب اختفاء سيدهم المختار، موجهاً أصابع الاتهام لـ سموريه.

بدأت الاعتراضات و النقاشات، ثم توجه عدد كبير منهم إلى ملك الجان، عند وصولهم خرج إليهم من شرفة غرفة نومه مخاطباً إياهم.

قال:

- **قصري مفتوح أمامكم فتشوه كما تشاءون، إني لم أرى مختاركم، و لم يزرني احد منذ زمن طويل.**

بينما الجميع في حالة غيظ و إحباط و جدال، تسلل (مردو داوخ) قائد حرس قصر سموريه إلى مكان احتجاز هرمز، و عند وصوله الزنزانة حدثه.

قال:

- سيدي المختار جئت أخلصك من سجنك وأعلن أمامك ولائي للعظيم و براءتي مما فعله و يفعله ذلك الخائن.

قال:

- ستكون مكافئتك كبيرة لأنك مخلص لألهك.

بعد فك القيود أخذه برحله طويلة عبر مجارير القصر وصولاً لسلم يتجه إلى أسفل.

قال له:

- هذا أقصى ما استطيع الوصول إليه، أرجو لك سلامة الوصول، السلم يقودك إلى بداية أرض الصمت و هي الفاصل الوحيد بينك وبين الغابة المقدسة.

أعطاه معطف، ثم قال له:

- خذ هذا سيحميك من البرد القاتل الذي يسيطر على ارض الصمت، فنسمات هوائها تشل الجسد كلدغات الأفاعي، ثم

عليك خلعه عند وصولك مدخل الغابة، شيء أخير أخبرك به أحذر من المخلوقات الباكية الضاحكة، لا تكلمها مهما حدثتك و لا تتعاطف معها و إلا حل عليك سحرها و أصبحت احد حجارة ذلك المكان.

نزل هرمز بسرعة يسابق بها الريح ، أما (مردو داوخ) فعاد أدراجه، ثم ابلغ سيده بهروب سجينهم.

استشاط سموريه غضباً و أمر بمعاقبة الجميع ، ثم أطلق العشرات من الأرواح الصارخة لكي تبحث عن السجين الهارب.

وصل خبر هروب المختار إلى جمهر فأمر جميع المتجمهرين أمام قصر ملك الجان بالعودة إلى منازلهم، قام جمهر بأخبار سموريه انه علم بالمؤامرة الفاشلة التي قام بها، مما دفع الأخير لبذل كل الجهود للقبض على هرمز قبل عبوره بوابة الغابة.

أنهى المختار السلم و دخل أرض شديدة البرودة و الصلابة فيها عيون تنفث مادة لزجة كالمخاط بين الحين و الآخر.

السير الحثيث و هو يحس أن هناك من يتعقبه، فقد سمع أصوات تشبه الصراخ تناديه باسمه.

خلع المعطف الذي حد من سرعته و جرى، اعترضته المخلوقات التي أُخبر عنها، كانت صغيرة الحجم مثل كرات الفرو، و بدئت تطلق النكات و القصص الحزينة التي تفطر القلب، لكنه لم يعره اهتمام و واصل تقدمه.

وصل أخيرا عند جدار من الأغصان المليئة بالأشواك ذات اللون الأحمر القاتم و الأصفر الداكن، لم يطل به الوقوف حتى بدأ يشق طريقه عبرها مستخدما سيفه الذي أعاده له قائد الحرس مع بقية أغراضه.

استمر في التقدم البطيء و الصعب لصلابة الأغصان، و كادت الأرواح أن تدركه إلا أن حسن طالعة تدخل و مكنه من إنهاء الجدار قبل وصولها بلحظة، لم تتمكن من ولوج الأغصان و عادت إدراجها خائبة.

تفقد ببصره المكان الذي آلـ إليه، فظل متسمراً مكانه و الذهول يسيطر عليه.

في تلك الأثناء هشام و نور يزحفان داخل الكهف الواحد تلو الآخر سعيا وراء مخرج، وقد أصبح الكهف أكثر ضيقاً.

فجأة أصبحت الأرض تحت الشاب طرية و هشة فتوقف، ثم قال:

- هيا نعود أدراجنا الأرض ستنهار من تحتنا.

مع إنهاءه تلك الكلمات انهارت الأرض وسقطا في هوة عميقة، حاول الشاب أن يبقى متمسك بنور قدر الإمكان، بعد فقدانه بقية أغراضه عدا السيف المربوط على خصره.

بعد طول تأرجح في المجهول استقرى بين أحضان سائل شفاف اللون لزج القوام يتدفق بشكل متقطع و كأنه مرتبط بنبضات قلب، جرفهما السائل و لم يستطع الشاب الحفاظ على فتاته، فخطفت بين ثنايا السائل.

أهلا بك في منزلك

بعد اكتمال عدد الجنود بدأ العمل على بناء عدد كبير من المنجنيق العملاق ليقوموا بضرب جبل المرارة.

عمل الجميع بجهد حتى تمكنوا من صناعة العشرات، ثم وجهت جميعها تجاه الهدف المنشود.

كانت الخطة تقضي على إجبار الأفعى الخروج لكي يقضى عليها، بدأ وابل من الصخور و الكتل النارية السقوط على الجبل.

استمروا طوال النهار بالقصف المتواصل، لكنه لم يأتي بثماره الموعودة فجاءهم الأمر بالتوقف عند حلول الظلام.

في الصباح عاودوا إطلاق حجارتهم، و لم يمر الكثير من الوقت حتى سمعوا صوت الوحش و هو يصرخ، ارتعب الجند من البشر لكن قائدتهم شدت من أزرهم، و في لمح البصر رأوا مخلوق بشع و هو ملتف على قمة الجبل، ثم ما لبث أن هاجمهم من خلال إطلاقه سائل من فمه نحو الجيش المهاجم، كانت تلك المادة إذا لامست جسد الجندي ذاب لحمه و اختفت عظامه، كأنه قطعة ثلج سقطت في وسط بركان ثائر.

فكرت شفاء بسرعة و هي تراقب الأفعى من جهة و جنودها من جهة أخرى.

قالت في نفسها:

– عليَّ القضاء على هذه اللعينة بأسرع وقت، و إلا وقنا في مأزق كبير.

بدأت تدمدم بكلمات و هي رافعة يدها تجاه السماء يرافق ذلك ارتفاع و انخفاض لشعر رأسها بصورة تلقائية، بعد لحظات بدئت ترتفع شيء فشيء من الأرض.

لم يمر الكثير من الوقت حتى سمع رفيف أجنحة قادم، تخبطت الأبصار في السماء بحثاً عن مصدر الصوت، و إذا بعشرات الطيور التي تشبه الصقور البيضاء يقودها عقاب عملاق ذي لون اسود.

امتطت "الطيبة" قائدها متوجه ناحية الأفعى لتبدأ مرحلة جديدة من المعركة، واجهت الأفعى ذلك الهجوم بدفاع مستميت مطلقة دفعات من سائلها أصابة به عدد من الطيور، لم يمضي الكثير من الوقت حتى تمكن الصقور من القبض على الوحش، و حملته عاليا في كبد السماء حتى توارت عن الأنظار، ثم تركتها الصقور تلاقي حذفها، و أخيرا ارتطمت بالجبل متحولة إلى أشلاء مبعثرة.

علت الهتافات و الأهازيج فرحاً بالتخلص من العدو، فقالت لهم:

– لم يحن بعد وقت الاحتفال، هيا بنا نتقدم ناحية الجبل لكي نحتله قبل مجيء من يدافع عنه مرة أخرى.

وصل خبر مقتل الأفعى إلى سموريه فأعطى أوامره بتجهيز الجيش لردع الغزاة الذين تجرؤا على المساس بحرمة البلاد، تجمعوا بسرعة البرق و أصبحوا جاهزين للقتال على رأسهم ملك الجان رغم انشغاله بهروب هرمز.

أما المختار فقد كان يتأمل البوابة الكبيرة التي وجدها شاخصة أمامه و الضباب الأسود على جانبيها مكون جدار عال لم يدع له خيار إلا اجتيازها، و عبور ذلك الباب الصخري ليصل إلى ما وراءه.

تفحص الباب جيدا فلم يجد أي مقبض أو ما شابه يمكنه من فتحه فقط مكانين لأكف يد فوقهما مجموعة من النقوش، قرءها على الفور و عرف إن هذه هي بوابة الغابة، و عليه وضع يديه فيهما و الانتظار إما يفتح إن كان الشر الذي بداخله يؤهله لذلك، و إما تبتر كفاه إذا ثبت العكس.

لم يتردد كثير في اتخاذ القرار المناسب، ففوتح الباب أمامه، و مع خطوته الأولى لفح وجهه هواء حار، فارتفعت حرارته بشكل كبير و بدأ يتصبب عرق بغزارة، ثم سمع صوت يهمس في أذنه.

قال الصوت:

- تفضل،يا...، تفضل إلى أرض جدك العظيم.

تقدم بخطوات واثقة ثابتة، غلق الباب خلفه، فوجد نفسه أمام فجوه عملاقة لا نهاية لها تتصاعد منها أدخنه و أبخره سوداء.

بحث حوله لإيجاد وسيله توصله لمقصده فسقط نظره على سلم حلزوني الشكل يتجه إلى أسفل، اعتلاه و نزل مسرعاً...

بينما هرمز ينزل مسرعا،كان هشام يمتطي ظهر السائل وهو يجول و يصول ببصره باحثا عن أمله الضائع "نور" التي تلاشت تماماً،ثم بدأ المجرى يأخذ بالانحدار حتى صب في فجوه كبيرة تتوسطها دوامات،تخبط الشاب بين الصخور محاولاً الهرب لكن دون جدوى، دخل إحداها،تنقل مع السائل في داخل قنوات ضيقة كأنها أنابيب صخرية،ثم بدأ بالارتفاع عمودياً ما جعله يحس بألم كبير.

خلال صراعه من أجل البقاء فقد بقية ما يملك عدا قطعتي ملابسه، لم يطل به هذا الحال حتى قذف من إحدى فتحات ارض الصمت و سقط مغشياً عليه.

فتح جفنيه ليجد نفسه محمولاً من قبل كرات فرو وهو مكبل بالحبال،أحس ببرد شديد شل جميع أعضائه.

في تلك الأثناء شفاء تقود جيشها الذي دخل مشارف ارض الشر و في نيتها الاستمرار بالتقدم حتى آخر بقعة من هذه الأرض،

قامت بإعطاء جيشها بعض النصائح التي تخص منعهم من دخول الكهوف، أو الأكل، أو الشرب مما يصادفهم لكي لا يصبحوا من أهل هذه البلاد.

أصبح جيش سموريه جاهز للانطلاق منتظراً الأمر، و قد كان مكون من تسعين ألف مقاتل موزعين على ثلاثة عشر مجموعة، أما ترتيبهم فقد كانت المقدمة من الغيلان و سكنت أرض الجحيم، و على الميمنة و الميسرة حراس قصر سموريه، خلفهم مباشرة الظلال و المهرجون، يأتي بعدهم الذئاب التي تحمل كرات الحديد و تعتمر الخوذ الحديدية، إضافة لبقية الوحوش الموزعة حسب قوتها و عملها، تحلق فوقهم ساكنات بحيرة الأرواح يتوسطها وحش طائر ضخم الجثة ذي أربعة أجنحة و رقبة طويلة في مؤخرته ثلاثة ذيول من نار على ظهره عرش عظيم يستقر عليه سموريه و قد ارتدى حلت الحرب، وفي يساره سيف أسود صنع في أصل الجحيم، كما احتوى الجيش على مسوخ بأجساد بشر و رؤوس قطط، و ضباع، و أخرى لها أرجل أبقار، خلف كل ذلك تسير سحالي صحراوية عملاقة فوق ظهورها أبواق و طبول تطلق النعيق و الزعيق.

أما العناكب و العقارب فتجر عربات تحتوي على قدور ضخمة ملئ بحمم، أما أسلحة الجيش فسيوف طويلة و عريضة و ذات

نهايات غريبة إضافة للرماح و الأقواس و كرات الحديد، و الدروع و الخوذ.

الجميع متحمس ينتظر إشارة الانطلاق عن طريق نعيق مطية القائد.

في تلك الأثناء وصل هرمز لنهاية السلم إلا أن طريقه إلى أسفل لم ينتهي بعد، وجد نفسه في مكان أشبه بالكهف الذي يبدو انه مسكون فهو مرتب و فيه مستلزمات العيش.

تجول في المكان بحذر بحثاً عن السكان، ما هي سوى لحظات حتى ظهرت له سيدة بوجه بشري في الثلاثين من العمر ذات لون داكن و شعر رأسها يغطي معظم جسدها.

بادرته بإلقاء التحية، راجيةً أن تكون مضيفته.

قال:

- **إني في عجلة من أمري، أرجو منك أن تدليني على الطريق المؤدي إلى غابة بابك فقد انتهى الطريق بي هنا و لا أعرف المخرج.**

قالت:

– لن أخبرك بشيء حتى تكون رفيقي في الفراش، و لن تمر حتى تنفذ رغباتي الملتهبة بنيران الأشواق.

قال بانزعاج:

– ويحك، من تظنين نفسك ؟ ألا تعرفين أمام من تقفين ؟!

قالت:

– اعرف من تكون و أحب أن أعرفك بنفسي، أنا (نائلة) ذات الشعور المائلة ابنة سموريه، و إحدى محظيات سيدي...، و مختاره، هيا لا تعكر صفو هذه اللحظات بأفكار ...

قال:

– من سيضمن لي صدقك، من المحتمل تكون هذه إحدى مكائد أبيك.

قالت:

– لو أردت خداعك ما أخبرتك ابنة من أكون، إضافة لذلك هذه الأرض لا سلطة لأحد عليها، سوى الإله...

ذهب بصحبتها بعد قناعته انه لا مناص من ذلك، و لن يتمكن من إيجاد طريق الخروج إلا إذا لبى لها طلبها.

في تلك الأثناء دخل هشام محمولا إلى كهف عميق، بعد التوغل في الأعماق بدأ يشعر بالدفء و بعد قليل رأى أنوار ترتفع و تخفت، عادت إليه القدرة على تحريك أعضاءه فحاول الإفلات من وثاقه، لكن دون جدوى.

بعد طول سير وصلت الباكية الضاحكة مكان تواجد سيدها الذي كان كرة فراء هو الآخر لكن بحجم ثور كبير لا يرى منه سوى ذراعين نحيلين و قدمين، إضافة لفم عريض تناثرت داخله الأسنان.

وضعوا هشام على الأرض و أزالوا عنه الحبال فانتصب واقفاً ليفاجئه المنظر...

جسد الفتاة موضوع أمام المسخ بعد أن سوي بالنار حتى نضج، و كان ذلك الوحش ممسك بذراع الشابة و على ما يبدو انه تناول جزء منه.

ثارت ثائرته، تلفت حوله باحث عن أي شيء يعينه على قتل سيد البكاء و الضحك فلم يجد، هجم عليه مستنجدا بيديه، فضربه المسخ ضربه أفقدته وعيه، استيقظ بعدها ليجد نفسه مسجون بزنزانة مصنوعة من العظام.

جلس يفكر بما ستؤول إليه الأمور، و الحزن يكاد يفتك بعقله.

انتهى هرمز مهمته مع ابنة سموريه، ثم قامت باصطحابه إلى سلم مخبّأ يقود إلى الأسفل.

قالت و هي تودعه:

– رافقتك السلامة، أذكرني عندما يهزك الشوق...

في تلك الأثناء انطلق ملك الجان متقدماً جيشه زاحفاً نحو عدوه.

أما الجيش الآخر فقد قررت قائدته التخييم لبعض الوقت بعد أن عبروا جبل المرارة استعداد لمعركة قد تلوح في الأفق قريباً.

بعد إن حرروا السماء و الأرض التي وطئتها أقدامهم من الشر المسيطر عليها.

هشام يستشيط غضباً في سجنه و الأفكار متزاحمة و مشوشة داخل رأسه، حاول الخروج و الانتقام دون جدوى، أخيرا استسلم للنعاس و غط في نوم عميق.

زارته الأميرة الطيبة و مرجان في منامه، و تحدثا معه طويلا عن الأحداث التي خاضها، هو بدوره اخبرهما عن فكرة الثأر.

قال له مرجان زاجراً:

- أنت تفكر بالثأر، و المختار اللعين يوشك الوصول إلى مبتغاه، انهض هيا تحرك، أسرع لتلحق به و إلا سوف تتحمل مصير البشرية جمعاء.

قال:

- لو فرضت معك جدلاً أني سوف أتناسى ما حدث، كيف سأتمكن من اللحاق به و أنا حبيس الزنزانة اللعينة، و قد فقدت الرداء و سيفي؟!

أجابته شفاء:

- هون عليك أنا في غاية الأسى لما أصابك، لكن هذه إرادة من لا تعلو إرادة فوق إرادته، لذا أرجو منك التركيز على مهمتك، عند انجازها سوف تثأر لنفسك.

قال:

- لكن كيف سأخرج من هنا؟

قالت:

- عندما تصحو من نومك ستجد بوابة الزنزانة مفتوحة، سر بشكل مستقيم تجد نفق على يمينك انزل فيه، عند نهايته

هيكل عظمي لمحارب خذ السيف و الدرع، إياك مساس أي شيء آخر، ثم واصل رحلتك حتى تحظى باللعين.

بعد ذلك انحنت و قبلته، ثم قالت:

- **هذه القبلة تحميك من الشرور التي تتسلل إلى القلب، أو تؤذي الجسد.**

ودعاه فحاول إيقافهما لكنه استيقظ من نومه ليجد ما أخبرته به قد حصل.

وصل هرمز إلى نهاية السلم مرة أخرى ، نظر حوله ليجد نفسه في مكب للنفايات.

تجول في المكان بحثاً عن مخرج، ورغبة خفية تساوره للقاء أنثى أخرى، لكن ما وجد في النهاية حيوان كبير الحجم ذي مخالب طويلة و ذيل مليء بالشعر، له أذنين مبسوطتين على جانبي رأسه الخالي من الشعر، أما جسده فمكسو بالكامل بالشعر المجعد الخشن، و هو نائم يسد فتحة كبيرة نقش على أعلاها مخرج.

حاول إيقاظه أو إبعاده عن المخرج دون جدوى، استل السيف و باشر بتقطيعه محولا ذلك الجسد إلى أكوام من اللحوم و الشحوم، لكن كل جزء يفقده ذلك المخلوق يعود لينمو بسرعة.

جلس يفكر في طريقة لأزاحته، و بينما هو غارق في حيرته التفت إليه الحيوان.

قال:

- أهلا و سهلا بك، يا... ، بماذا أخدمك؟

نظر إليه بعينيه الحمر مكشرا عن أنيابه، ثم قال بصوت مرتفع:

- أريدك أن تغرب عن وجهي، و تخلي الطريق.

ابتسم الحيوان كاشفاً عن أنيابه أيضا، ثم قال:

- حسناً، تمهل عليَّ قليلا، احتاج بعض الوقت حتى أتمكن من فعل هذا، فأنا النعسان، ألا تعرفني؟

قال منزعجاً:

- كيف لي معرفتك و لم يسبق لي المجيء إلى هنا، هيا أسرع...

تحرك النعسان، و كأنه جبل يريد التزحزح من مكانه.

انظم الملك ننماخ إلى ابنته يرافقه جيش قوامه خمسون ألف مقاتل، كانوا بأحجام متفاوتة، و منهم الطيار و الزاحف، و السيار.

هبط الأب بموكبه المهيب، ثم ترجل من عربته العاجية ذات اللون الأسود، و بعد معانقة ابنته اجتمع بشيخ القرية و بعض قادة الكتائب من البشر، و بدأوا يتداولون و يعدون الخطط.

قال:

- خير وسيلة للدفاع الهجوم ...

أما هشام فقد حث الخطى حتى وصل النفق، توقف متردد.

قال في نفسه:

- لن ابرح مكاني حتى انتقم من قاتل نور.

حاول سلوك طريق آخر، فصرخ في رأسه صوت.

قال :

- لا تخن الأمانة التي في عنقك، و إلا هلكت و أهلكت، سر في الطريق الصحيح.

ذرف الدموع الحارة و الموجعة و هو يخطو أولى خطواته في الطريق المطلوب، ثم تقدم ببطء شديد، و كأن قدماه لا تطاوعانه، لكنه واصل رغم ذلك.

ابتعد النعسان أخيراً، و انطلق هرمز بكل ما أوتي من قوه نزولا إلى أسفل و مرة أخرى انتهى به الطريق دون إيصاله إلى ضالته.

وجد أمامه هذه المرة أنثى ضخمه الحجم و كأنها سحابه تجلس في حجرها مخلوقات صغيرة لا يشبه أي منها الأخر، جميعهم يرضعون من أثديه ذلك الجسد.

قال بعد إلقاءه التحية:

- من أنت؟

أجابت:

- أنت من، و من أين أتيت؟ إني في انتظار ضيف مهم علك تكون هو؟

كان صوتها غليظا ذا صدى.

قال:

- أنا...

عندما سمعت الاسم نهضت على الفور و هي تنفض عنها تلك المخلوقات.

قالت:

- أهلا و سهلا بك، يا سيدي إني في انتظارك منذ زمن، أود تعريفك بنفسي.

قال بملل:

- تفضلي ...

قالت :

أنا أم الظلال، و من رأيت أطفالي، تفضل بالمرور، لم يعد يفصلك عن الغابة سوى هذا السلم.

انطلق بعد توديعه لأم الظلال و ارتشافه شيء من لبنها.

أما جيش سلالة الملك طارش و البشر، كان يتقدم هو الآخر بمسيرة حاشده .

بدأ ننماخ و جنوده الغناء بكلمات لم يفقه البشر منها شيء إلا أنهم رددوها معهم.

بينما كانت الأحداث تجرى على هذا النحو فوق سطح الأرض، هشام يعاني التعب و الجوع الشديدين مواصلاً تقدمه المتعثر أملا في الوصول إلى نهاية النفق.

ما أجمل المنظر

حمل أحفاد طارش البشر في الجو و على الأرض منطلقين بكل ما أوتوا من قوه.

أما سموريه قام بإلقاء إحدى تعويذاته السحرية مما جعل الأرض هي من تسير بهم من خلال انطوائها على نفسها.

هرمز أوشك على الوصول إلى نهاية السلم الطويل، و بدأ يرى نهاية الطريق.

هشام هو الآخر يرى نهاية النفق المظلم، ثم وجد كومة العظام و اخذ منها ما أوصته شفاء، و هو يعتذر على الإزعاج محاولاً إثارة جو من الدعابة في نفسه الحزينة.

تقدم قليلا ليجد نفسه معلقاً عالياً عن الأرض التي تحتضن غابة بابك، جال بنظره يستكشف ما أمامه، فوجد الأشجار الكثيفة و المتشابكة ذات الألوان القاتمة المظلمة، و هي لا تطابق ما يعرف من الأشجار ماعدا بعض الصفات البسيطة، ثم حاول أن يدرك نهاية الأشجار لكن دون جدوى، كما أزعجه الدخان الذي ينبعث من حول الغابة برائحة مقززة.

اختل توازنه العام، لكنه ربط من جأشه و بدأ يبحث عن وسيلة للنزول إلى تلك الأرض، فجأة و دون أي مقدمات هاجمه النعاس...، استيقظ على صوت صراخ مفزع، نظر هنا و هناك

فوق و تحت محاولا معرفة مصدره، أخيراً وقع بصره على مسخ كان هو مصدر تلك الضجة.

ظل يراقبه و هو يطلق الصرخة تلو الأخرى التي كادت أن تجعل النفق ينهار على الشاب.

بعد إكمال الوحش موجة صراخه دخل بين الأشجار، تساءل هشام مع نفسه عن هوية ذلك الكائن الغريب مردداً عبارة "من هذا يا ترى"؟!

أتاه الجواب بصوت الأميرة، قالت:

– هذا عدوك و هدفك، أسرع لتلحقه قبل وصوله إلى مبتغاه.

ارتعدت كل مفاصله غضباً، و غلى بركان داخله، اخرج جسده أكثر فأكثر من فتحة النفق محاولا النزول عن طريق القفز لكن المسافة بعيدة جدا فعدل عن الفكرة، تلفت حوله فسقط بصره على جذر كبير نازل إلى أسفل، سرى الأمل فيه بعد إن كاد يسيطر عليه اليأس.

حاول التقاط الجذر لكن دون جدوى، فكر بسرعة، لم تخطر في باله فكرة أفضل من القفز و التشبث به، بعد ترنح كاد يسقطه استقر متشبثا بالهدف.

بينما هشام يمتطي صهوة الجذر نزولاً ،كان هرمز قد دخل الغابة و هو مسرور بما يرى من أشجار أوراقها مخالب الأسد و ثمارها التي تشبه رؤوس حراس قصر سموريه، أضافه لسواقي المياه الآسنة، و الرائحة النتنة التي تطلقها الأرض عطر لها.

سار فخور و هو يترنح في مشيته قليلا تعبيراً عن التفاخر و التعالي، أثناء غبطته تلك بدئت الأشجار تقترب منه بأغصانها، ثم ضربته بأوراقها في محاوله لتمرير السم إلى جسده إلا أن ملابسه منعت حدوث ذلك، بعد عدت محاولات انسحب الأشجار.

ثم سمع صوت يقول:

- لقد تعرفنا عليك تفضل بالمرور.

سار قدماً حتى صادفه طريق ضيق معبد بالحجارة فسلكه، و بينما هو سائر ظهر له مخلوق صغير الحجم أصلع الرأس لا عيون في رأسه، انفه كبير و فمه صغير لا أسنان فيه، لونه العام مائل للصفرة مع بعض السواد و هو يرتدي خرقة باليه، قال:

- مرحبا بك يا سيدي الـ...، حللت أهلا و نزلت سهلا.

قال بنبرة تعالي و كبر:

- أهلا، ما تكون؟

أجاب:

- أنا القزم "ساسان" في خدمتك سيدي، سأكون دليلك إلى مملكة جدك.

ضحك بصوت عالي، ثم قال:

- كيف تكون دليلي، و أنت تحتاج لمن يدلك! ألا تعرف أن لا عينين لديك...

تعالت ضحكاته حتى بدأ فمه يقطر دما.

أجابه و علامات الحزن بادية على وجهه:

- سامحك الإله، إن لي انف استدل من خلاله على أي مكان داخل الغابة، اتبعني و سوف أوصلك إلى ضالتك بأسرع وقت.

قال:

- حسنا لكن تذكر، إذا ضللت الطريق سأجعلك قطع من اللحم المفروم، و أوزعك على أطراف الغابة.

في تلك الأثناء وطئت قدمي الشاب الأرض،ثم دخل الغابة فأحس بشيء من الوهن و الخوف،لكنه تدارك نفسه عندما أخذته

الذكريات إلى الماضي، فستعاد شحن نفسه بالطاقة مجهولة المصدر.

جاءته أول الإعانات في تتبع عدوه، كانت آثار أقدام هرمز المزروعة عميقا في ارض الغابة.

تقدم مسرع، و قبلة شفاء متوهجة.

أما صاحب الآثار فأسرع هو الآخر، و هو منزعج من ثرثرة ساسان التي لا تنتهي، ما زاد الأمر سوء تكرار المناظر ، لم يمر الكثير من الوقت حتى انتابه شعور غريب لأول مرة يحس به "التعب"، ظل مستغرباً، ثم بدئت خطواته تتهالك.

قال القزم:

- **ما تحس به، يا سيدي أمر طبيعي فقد اقتربنا من شجرة (القلوب المعذبة)، و هذا سحرها تطلقه في الأرجاء يجعلك تشعر بالتعب و النعاس أيضا.**

أعجبه الاسم، و قال:

- **ما هذه الشجرة؟**

أجابه:

- لا استطيع وصفها لك، من الأفضل أن تراها بنفسك، و هنالك أخبرك بقصتها.

حدث هرمز نفسه قائلا:

- كم أتمنى تقطيعك ارباً أيها الثرثار الصغير.

لم يطل السير حتى وصلا إلى بقعه من الأرض خالية من الأشجار تتوسطها شجرة شاهقة الارتفاع لا أوراق فيها معلقة على أغصانها المتعرجة قلوب بشرية تنبض بكل حيوية، و تروى تلك الشجرة بساقية كبيرة من الدم.

قال:

- ما رأيك، أليس شيء رائع؟

أجاب:

- انه في منتهى الجمال، و رائحة الدماء أنعشتني، الآن هات القصة.

قال:

- تقول القصة إن هنالك عدد من جنود أرض الاران المخلصين يقومون بإغواء ضعاف القلوب من البشر محبي الشهوات و

الملذات، فيقوم جنودنا بعقد صفقة تنص على منحهم ما يتمنون مقابل قلوبهم.

قال، مستغربا:

- كيف يستطيعون العيش دونها؟!

أجابه:

- هم لا يأخذون القلب ذاته، بل روحه التي تحتوي على المشاعر و الضمير،إضافة للأيمان.

استأنفا رحلتهما بعد الوقفة القصيرة.

في تلك الأثناء قامت شفاء بإعطاء الأوامر لجيشها بأخذ قسط من الراحة، فضربت الخيام و أوقدت النار لإعداد الطعام.

أما جيش سموريه فلم يتوقف موصلا التقدم و هو يمتطي الأرض و أصوات الطبول و الأبواق تهيمن على الأجواء، الجميع مملوءين رغبة للقاء الأعداء و تذوق لحومهم بعد إذاقتهم مرارة الموت.

كانت الأميرة تدرك حقيقة ما سيقابلون من جيش على الرغم من تفوق عددهم إلا أن هنالك الميزة التي تجعل الأعداء أقوى و هي حصولهم على الطاقة من الأرواح السجينة في أرض الشر.

أما هشام فقد هبط عليه التعب و الإرهاق و بدأ يترنح حتى سقط أرضا و أخذته غيبوبة، رأى فيها نور و هي ترتدي حلة جميلة و تطوف حولها عدد من الفتيات الحسان.

تقدمت إليه بوجه مشرق و ثغر باسم، قالت له:

– ما بك ؟ لماذا أنت مستلقٍ هنا؟ انهض و أكمل طريقك، لم يبق سوى القليل للظفر بعدوك.

قال:

– كيف أواصل و قد سلبوك مني، لن ابرح مكاني و ليذهب البشر إلى الجحيم.

قالت :

– لا، يا "حبيبي" هذه ليست شيمتك، إن كنت حقاً تريد لي السعادة في حياتي الجديدة، أرجوك أكمل ما بدأت.

قال:

– لأجلك افعل أي شيء، لكني خائر القوى لم يدخل في جوفي شيء منذ وقت طويل و أظن أن أمري انتهى.

تقدمت ناحيته و جثت على الأرض، ثم أخذت رأسه بين يديها واضعة إياه في حجرها، و... أحس بعدها بطعم العسل .

قالت:

- هيا انهض و واصل طريقك، لن تظمأ أو تجوع حتى خروجك من هذه الأرض.

غادرت مبتعدة. استيقظ والدموع خضبت لحيته، نظر حوله ليجد نفسه بالمكان الكئيب ذاته، و إحساس بالقوة يملأه

نهض منتصبا و هو في أوج نشاطه، فقال متسائلا:

- يا ترى ما حدث حلم أم حقيقة ؟

تقدم مسرع محاولا اللحاق بهدفه، وصل إلى شجرة القلوب المعذبة، فاقشعر بدنه و اشمئز من المنظر و الرائحة.

وصل هرمز و دليله إلى مدخل كهف كبير يستقر فوق مدخله تمثال صخري يعود لفارس يعتمر خوذه ذات قرون و يمتطي الأفعى الكبيرة المدرعة بالفولاذ.

عرف انه وصل إلى بوابة مملكة الهلاك، و أحس بقوة كبيرة تنسل إليه مصدرها الكهف.

قال الدليل:

- لقد انتهت مهمتي، أرجو أن تسرع في أعادة الإله إلينا، و تخبره بما فعلته معك حتى احصل على مكافئتي.

التفت إليه، و قال:

- أنا من سيعطيك مكافأتك.

على حين غرة استل سيفه و ضربه ضربة أحالته إلى نصفين، بعد ذلك أحس براحة كبيرة لتخلصه من الثرثار الذي أصابه بالصداع، ثم دخل الكهف.

انـهض مولاي

لم تتبق سوى مسافة قصيرة للقاء الجيشين، أمرت شفاء الجنود بالاستعداد، ثم تركت أبوها يجتمع بهم لتوجيههم.

في خضم كل تلك الحركة الدؤوبة و التحضيرات الكبيرة، طلب احد الجنود من الآدميين السماح له مقابلة القائدة.

قال:

- مولاتي وددت الاستفسار منك عن تلك الكلمات التي رددناها طيلة الطريق؟

نظرت إليه، ثم رفعت بصرها ناحية السماء متأمله، و قالت:

- إنها ليست مجرد كلمات أو هتافات حماسية، بل هو كلام بليغ يهب النصر لكل من يؤمن به، أما انتم أيها البشر فقد هجرتموه على الرغم من إنكم أول من عرفه.

قال:

- لما تركناه؟

قالت:

- لأنه يمنع عنكم مزاولة الشر و الشهوات الحيوانية التي تعشقونها، و لو إنكم تمسكتم بها لما حدث ما حدث، و لا كانت ارض الشر موجودة أصلا فهي و من فيها صنيعتكم.

انصرف الجندي و لم يفقه شيء مما قالت، ثم قال محدثاً نفسه:

- معقول مجرد كلام ليس له معنى معروف يجلب النصر في الحروب التي يلتقي بها السيف بالسيف و الرمح بالدرع؟!

عاد ليناقض نفسه مرة أخرى.قال:

- نعم، ممكن فنحن في زمن العجائب و الغرائب...

في تلك الأثناء كان جيش سموريه يخيم هو الآخر على مسافة ليست بالبعيد عن عدوه، منشغلين بأعداد الطعام، و تتعالى بينهم الصرخات و الضحكات، و الزفير و الشخير.

قائد الجيش قلق بسبب السجين الهارب، و الملك الذي سيستيقظ، لكن ما الفائدة فالمحظور قد وقع.

قال محدث نفسه:

- بعد الانتهاء من الغزاة عليَّ التحضير لحفل استقبال الإله مع حياكة بعض الأكاذيب الجيدة لعل ذلك يشفع لي.

عاود هشام استئناف سيره، و بعد عزم و إرادة استطاع الوصول إلى مدخل مملكة الهلاك، أحس بشر عظيم يخرج من ذلك الكهف تحمله الرياح على أكتافها.

دخل و الظلام الحالك يسود المشهد، فستخدم يداه و أقدامه كدليل له.

أما هرمز فقد كان في منتصف طريقه داخل الكهف، لم يكن يعاني من مشاكل، و أثناء تقدمه بهدوء و هو مسترخي مر أمامه شيء ما، توقف يتفقد ما حوله، عاود ذلك الشيء المرور.

صرخ قائلاً:

- أظهر نفسك...

بعد تلك الكلمات مليء المكان بالدخان و انعدمت الرؤيا، ما هي سوى لحظات حتى انقشع ليجد أمامه "بانذار" و جنوده، و قد حنوا هاماتهم.

قال بفرح:

- أهلا و سهلا بكم، يا رفاق.

قال كبيرهم:

- كيف حال مختار الـ...، طال غيابك!

قال:

- واجهتني بعض المتاعب و أنا في طريقي إليكم سأخبرك عنها فيما بعد، أرجو اصطحابي بسرعة إلى سيدي.

قال :

- لا زال أمامنا بعض الوقت حتى نصل، لنستغله بالحديث.

سار الجميع و كان على شكل هرولة خفيفة، بعد مرور فترة دخلوا نفق حلزوني من مجموعة أنفاق ، واصلوا النزول حتى أحس هرمز مرة أخرى بالتعب، أصيب بالحزن و خيبة الأمل لهذا الإحساس الشنيع، طلب من "بانذار" التريث قليلا و أخذ استراحة قصيرة.

قال:

- لا نستطيع التوقف هنا، علينا المضي قدماً و إلا سلبت روحك منا.

قال مستغربا:

- كيف و أنا من صفوة أهل هذه الأرض!

قال:

– هذا النفق يحرسه مارد مسؤول عن بوابة العالم السفلي، كل من يتوقف أو ينام هنا يصبح ملكه، لذا علينا مواصلة السير الحثيث.

قال و أنفاسه مضطربة:

ـ ألم يكن أمامنا سواه؟!

أجابه:

– بلى، لكن هذا اقصر بعض الشيء، كما إن عهدي بك لا تتعب؟

اختار هرمز الصمت و مواصلة الهرولة جواب له، ثم ضغط على نفسه و زاد من سرعته حتى يرضي غروره الذي اهتز.

أثناء ذلك كان هشام يتقدم متخبطاً وسط الظلام لا يعرف إلى أين يمضي، فتملكه اليأس و الملل، قرر التوقف قليلا حتى يجد لنفسه حلاً، أثناء تفكيره ساورته رغبه في طلب العون من شفاء، انطلق صوت من أعماقه ينادي و إحساس الحاجة و الحنين يلف نداءه .

وصلت الرسالة إلى الأمير و هن طريق تناغم روحيهما، أجابته تقول:

- امسح على جبينك بيدك اليمنى و قل ((بسم الله الرحمن الرحيم)).

كلمات غريبة! قال في نفسه، ثم واصل يقول:

- لعلها إحدى تعويذاتهم ، أو أشيائهم السحرية.

قام بما طلبت منه، فتوهج جبينه مطلق ضوء ساطع أحال الظلمة إلى نهار.

لم يهدر الكثير من الوقت، انطلق بسرعة أذهلته كان يركض وكأنه يمتطي صهوة رياح عاصفة، وصل إلى مجموعة الأنفاق فاختار المرور من أوسطها.

خطى هرمز أولى خطوته ليجد نفسه أمام البوابة الداخلية لمملكة الهلاك ، فرح و انتشى لوقوفه أمام ذلك الباب الحديدي الذي لا ترى نهايته من أعلى و على جانبيه مشعلين متقدين بنار سوداء، كما إن منظر الأسوار المصنوعة من حلقات الفولاذ و القطران المتراصة أثار إعجابه.

تقدم "بانذار" و صاح قائلاً:

- (أولو لبج أو شكتا وكت).

فتحت البوابة ببط فوجد أمامه مخلوقين يشبهان المزارع، هما من يقومان بفتح البوابة.

توجه بالسؤال لـ "بانذار" عن قصة هذين الكائنين و كيف أن المزارع اخبره انه فريد من نوعه.

قال:

- دعك من أقاويله انه بليد لا يعلم شيء.

دخل ليجد المملكة تنبض بالحياة و تعج بجميع أنواع المخلوقات و مظاهر التمدن بادٍ عليهم، فالأسواق و البيوت تشبه بشكل كبير ما لدى البشر، لفت انتباهه المخلوقات الطائرة و التي تشبه تلك التي كانت تحلق فوق قصر سموريه فتوجه بالسؤال إلى صديقه.

أجابه:

- هذه طيور "الأورتاكي".

الجميع ينحني له أثناء مروره لكنه لا يعرهم أي اهتمام، كان مأخوذ بما يشاهد من أبنية و ما شاكلة، تساءل كثيراً داخله عن هذه المملكة، و كيف إنها في أعماق الأرض، و لا سماء فيها أو ماء، لا وجود إلا لحجر، و حديد و نار.

قال لـ "بانذار":

– إلى أين نذهب الآن؟ متى سأبدأ عملي؟

أجاب:

– سنذهب إلى القصر لتبدأ مراسيم فك اللعنة.

قال بغبطة:

– إذن هيا بنا نسرع أكثر...

عاد ليسأل:

– لكن أين القصر؟لا أراه في أي مكانا؟!

قال:

– تمهل، إنه أمامنا لكن المسافة لا تزال طويلة.

عندما يمر هرمز من أمام احدهم كان الأخير يطلق كلمات تقول.

– (شعسنبج مواو شعنقلات).

مما يدفعه لإطلاق ابتسامة سوداء رداً عليه.

بينما هرمز على هذا النحو وصل الجيشان إلى نقطة التقائهما، و بدأ كل جانب يعد العدة لسحق الآخر، لكن كل منهما التزم الأرض

التي ينتمي إليها مكتفين بإطلاق الصيحات من الجنود، أو النفخ في الأبواق و الضرب على الطبول.

كل طرف ينتظر لحظة تهور الآخر و دخوله حدوده ليقضي عليه.

خطرت في بال الأميرة فكرة قد تمكنها من استدراج العدو إلى أرضها.

أمرت رماتها بالبدء في رمي الحجارة و السهام الكبيرة، لكن لم تفلح الخطة على الرغم من تكبد العدو عشرات القتلى و مئات الجرحى.

صمت طويل اخترقته الوحوش الطائرة و هي تحمل قدور حمم الجحيم، ثم قامت برميها على الجيش المعادي مما أدى لهلاك الوحوش و عدد كبير من الجنود يفوق ما وقع لدى سموريه بعدة أضعاف، فالسائل عندما يلامس البشر يحيلهم لأكوام عظام نخره أما شركائهم فيتبخرون دون اثر يدل عليهم.

استمر الطرفان على هذا الحال فترة لا بأس بها، لكن الملل تمكن منهما فقررا ترك هذا العمل الصبياني و الانتقال إلى المواجه الفعلية و ليكن ما يكن، التقى الطرفان على الحد الفاصل، ثم بدأت المعركة بمنتهى الضراوة و القوة و النتائج تحسم حسب تقدم أي منهما أرض الآخر.

استمر القتال طويلا و لاحظت شفاء التعب على جيشها فأمرتهم بالانسحاب و التراجع إلى الخلف، ثم انطلقت عاليا و قد تغيير لون عينيها و شعر رأسها انتصب و أصبح كالسهام،وصلت إلى ارتفاع شاهق، ثم قامت بإخراج خنجر صغير استخدمته لأحداث جرح عميق في أحد معصميها، فبدء ينزف سائل أبيض شفاف، دمدمت بكلمات و السائل ينزل متلألئ، و نزلت معه قطع من السماء فاختلطا معا مكونين درع يحيط بالجيش دارئ عنه الأذى.

بعد أن اكتمل و متن سقطت مغشياً عليها فالتقطها والدها الذي كان في غاية الألم لما قامت به من هدر جزء كبير من سني عمرها.

حملها بين ذراعيه و ادخلها خيمته، ثم وضعها على السرير و جلس بجوارها و عيناه تذرف الدموع الشبيه بالألماس الذي تناثر على الأرض بعد مروره بلحيته البيضاء.

في تلك الأثناء كان هشام قد سلك الطريق الأطول، نزل و نزل، و قد راوده شعور في الرغبة بالحزن و البكاء، استمر مسرعاً و هو يشاهد عشرات الهياكل العظمية غريبة الأشكال و مختلفة الأحجام مبعثرة هنا و هناك على طول طريقه.

أما هرمز فقد وصل إلى مشارف القصر الذي يتوجب للوصول إليه النزول عبر سلالم طويلة.

عند وصوله بدأ بالنزول هو و من معه، و من خلفهم جميع ساكني المملكة الذين تركوا كل ما ورائهم ليعيشوا لحظات الفخر بعودة الإله.

أُخذَ هرمز بالبناء العجيب و الجدران المرصعة بالأحجار اللامعة، القصر مكون من ثماني طوابق شاهد أخرها و هو ينزل إلى أولها.

لا سكان في ذلك البناء الضخم لأنه محرم بأمر الإله خاصتهم.

أعجبه سجود أهل المملكة كلما التفت ناحيتهم و هو ينزل ساعياً إلى سيده.

استمر بالنزول حتى انتهى إلى باب يشبه الذي صادفه في بداية دخوله للمملكة.

قال "بانذار":

- هذا أقصى ما نستطيع النزول إليه، جاء دورك الآن، عليك الدخول و التوجه نزولاً عبر سلم وصولاً إلى التابوت، لكن عليك أولا خلع ملابسك بالكامل، و إن لا تحمل معك سوى المواد التي سوف تستخدمها في أبطال اللعنة.

قام بإخراج إناء فخاري، ثم قال له:

– ضع المواد هنا و احمله بيدك اليسرى عندما تصل إلى الممر الذي يفصلك عن التابوت، ثم أكمل طريقك زحفاً على ركبتيك و يدك اليمين ترفع اليسار

... استدرك قائلاً:

- لا تنس إلقاء التحية على الإله أولا.

لحظات صمت قليلة استرسل بعدها المتحدث قائلا:

– هيا أساعدك في خلع ملابسك.

بدأت عمليه الخلع التي كانت أشبه بالسلخ بالملابس كانت مرتبطة بجسده بأوردة و شرايين تتغذى من خلالها بالدم إضافة لالتصاقها القوي بأجزاء من جسده مما جعله يطلق الصراخ المدوي و الشبيه بعواء الذئب.

بعد إتمام العمل أصبح هرمز قطعة من اللحم المخضبة بالدماء ذات الرائحة النتنة.

بينما جرت الأمور على هذا النحو داخل مملكة الهلاك، استعادت شفاء وعيها تدريجياً.

قال لها الأب:

- لماذا فعلتي هذا بنفسك، يا عزيزتي؟ أتريدين ملء قلبي حسرات عليك ؟!

قالت:

- الجيش يحتاج لما فعلته حتى يتمكن من استرجاع قوته، فلو بقي الحال على ما هو عليه لهلك الجميع، الأفضل البدء باستخدام المنجنيق مستغلين قوة الدرع التي تمنع عنا هجمات العدو و يتيح لنا إطلاق أسلحتنا.

قال لها متوسلاً:

- عليك إنهاء عمل الدرع و إعادة الطاقة لجسدك.

قالت بصوتها العذب المرهق:

- سوف أستغل ما بقي عندي من طاقة لمساعدة هشام، لقد قارب على الوصول، أرجوك دعني و اذهب لقيادة الجيش عوضًا عني حتى تحقق النصر كما كنت تفعل في الماضي، أيام حروبنا مع (لكوكرش و إليشانيل).

لم تفلح توسلاته و دموعه معها، فخرج و هو يشتعل غضباً، فوجد الجند يستريحون بانتظار الأوامر، و جيش سموريه يحاولون بشتى الطرق اختراق الدرع.

تولى القيادة و بدأت سيول الموت تسقط على العدو فقتل من قتل و جرح الكثير.

نظر قائد جيش ارض الشر إلى ما آل إليه الوضع، فقرر الوقوف بحزم و إنهاء المهزلة.

اخرج كرة زجاجية صغيرة في داخلها دخان اسود، أطلقها عالياً و هو يصفر و يدمدم.

قال:

- (كتشعسن اوشناو جمنقفا اوسنما لو شاو اوصد شاد).

كررها كثيراً و بنبرة مرعبة، و الكرة ترتفع و ترتفع، أخيرا انفجرت مطلقة سحب من الدخان الذي قام بإعادة جميع الأراضي التي حررتها الأميرة لسابق عهدها مما أعطى لجيش ملك الجان القوة الكافية للتقدم.

بدأت الاختلاجات تهاجم الأميرة، و كأن روحها تستل منها، ازداد الضغط على الدرع، فقامت بآخر محاولاتها.

قسمت ما تبقى لديها من سنين حياة بين دعم الدرع و تغذية هشام بالطاقة.

في تلك الأثناء كان هشام يسير بهمة و نشاط مع وصول مدد الطيبة و قد تمكن من قطع ثلثي الطريق داخل النفق.

أما هرمز فقد خطى أولى خطواته نزولا، و رغم ألمه اخذ بالمنظر حيث السلم الدائري و المشاعل التي تتقد بازدياد مع كل خطوة يتقدمها.

استمر بالتقدم و هو يحمل الإناء الفخاري الذي يحتوي على (قطعة من جلد خنزير، روث ماعز، شعرات من رأس أنثى بشرية، رأس جرذ اسود،أحشاء ضفدع، و أخيراً ثوم)،كلها مجففه و مطحونة.

بعد طول نزول أصبح أمام بركة من الحمم يتخللها ممر ضيق ينتهي مرتبط بقطعة حجرية مسطحة و مستديرة يستقر على جزء منها تابوت غاية في الطول و ذي لون اسود، محفور عليه مجموعة من النقوش باللونين الأحمر و الأزرق.

فعل ما أوصي به، تقدم زاحفاً على ركبتيه، ثم ردد بعض الكلمات.

قال:

- (أليجمو شاد مواو لا تمو).

واصل الزحف و معه آلامه و أحلامه.

بعد جهد استثنائي تمكن من الوصول إلى التابوت .

كانت حرارة المكان تستطيع شي أي شيء في لحظات، حتى أن "بانذار" و من معه بدأوا يشمون رائحة لحم يحترق .

عندما استقر أمام التابوت مباشرة نهض واقف، و بدأ يحاول فتحه ليبدأ العمل.

تفحصه جيداً في محاولة بحث عن مقبض أو مفتاح ما، فلم يجد سوى ختم لونه ابيض مقزز مكتوب عليه عبارات تحذيرية لمن يحاول فتح التابوت و يحرر من في داخله.

شحنته تلك العبارات بالمزيد من الغرور و العنجهية، واصل البحث و بعد إزالة بعض الأتربة وجد فتحة تشبه رأس ذيله، فعرف إن المفتاح كان برفقته طيلة الوقت.

دون إهدار الوقت ادخل رأس ذيله و حركه يمينا و شمالا حتى سمع صوت فتح قفل و معه قطع الجزء من ذيله الذي في الداخل.

لم يعر الأمر كثير من الاهتمام!

رفع غطاء التابوت المصنوع من حجر و حديد ، في البدء تغلب عليه ثقل وزنه، لكنه أبى إلا المواصلة.

مع إزاحته خرج صوت صراخ عال مع القليل من الغبار ذي اللون الأزرق و انبعثت رائحة كريهة جداً.

في تلك الأثناء كانت الأوضاع عند ننماخ و جيشه على غير ما يرام، حيث الدرع على وشك الانهيار لو لا إصرار شفاء على دعمه.

رتبت الصفوف و استعد الجميع للحظة اصطدامهم بالعدو...

تقدم جيش سموريه بكل ثقة و طوقهم من جميع الاتجاهات.

قال قائدهم:

- هيا أبطال الظلام حطموا ذلك الشيء الذي يفصلكم عن فرائسكم، اقضوا عليهم.

لبى الجميع النداء و بدأوا بضرب الدرع بكل ما أوتوا من قوة و عزم مستخدمين سيوفهم و مطارقهم، و جميع ما تحمل أيديهم.

بدأ الدرع بالتصدع أمام ذلك السيل من الهجمات المتواصلة.

لم تتحمل شفاء رؤية ما آل إليه الوضع، فقامت بتوجيه كل ما تبقى من طاقتها للدرع و هي مستلقية على فراش المعاناة و الألم، و ذلك بعد اطمئنانها على هشام.

عالج الدرع تصدعه الذي مني به، ثم قام بنسف كل من كان يهاجمه...

ابتهج الجنود، لكن الملك كان يبكي بصمت دون أن يلاحظه أحد.

فارقت الحياة بعد أن استنزفت كل لحظات حياتها و هي تحاول درء الخطر عن الجيش، و هشام.

في تلك الأثناء استطاع الشاب تجاوز جل النفق، و لم يعد أمامه سوى بضع خطوات حتى يصبح أمام مملكة بوابة مملكة الهلاك، لكن خطواته تثاقلت.

أما هرمز فقد تمكن من إزاحة الغطاء بالكامل و أصبح أمام إلهه وجها لوجه.

وجده جثة كبيرة الحجم عارية ذات لون أسود كالفحم و عينان زرقاوان و شعر رأس طويل و احمر و له في فمه العديد من الأنياب المعقوفة على بعضها البعض، و له ذراعين طويلين، و أصابع كفيه و قدميه فيها مخالب ضخمه و متعرجة، أما رائحة الجثة فلا تطاق.

سيطرت عليه الرهبة و الخشوع، إضافة للفخر كونه أمام من تاق للقائه، فهربت دموع الفرح من عينيه الجافتين، نسي كل ألامه و حروقه.

استمر في التحديق فترة طويلة، ثم انتبه لنفسه و بدأ عمله، فحمل مكونات فك اللعنة و وضعها في فمه يمضغها لتتجانس، ثم أخرجها ليوزعها على الجثة بالتساوي، انتظر ريثما تمتص بالكامل.

أعاد جيش الشر تشكيل صفوفه و بدأ الهجوم، أما ننماخ فلم يعد يأبه بأمره و الجيش بسبب فقدانه لأعز ما يملك.

في تلك الأثناء وصل هشام إلى المدخل ليجد باب حديدي عملاق مفتوح على مصراعيه، دخل و هو مستل سيفه، و هو يتلفت في كل الاتجاهات تحسبا لأي طارئ.

بعد إن امتصت الجثة المواد تحول لونها إلى الأحمر القاتم، فعرف انه قد حان موعد ألقاء التعويذة التي ستعيد (أُوشلا تشاواد)، العظيم.

بينما هرمز يرتب الكلام داخله استعداداً لإيقاظ إلهه، التقى الجيشان، بعد انهيار الدرع بالكامل، و قد كانت أشبه بالمجزرة أكثر من كونها معركة، و بين أمواج القتلى و تقارع السيوف و صرخات الوحوش ناد عامر بصوت عالي.

قال:

- اصمدوا هذا يومكم، فأما النصر أو الموت بشرف، لا تولوهم الأدبار...

بعد تفوهه بأخر كلمة استقر سهم ناري في رأسه ليرديه قتيلاً.

استمر القتال و كل الدلائل تشير إلى أن البشر و رفاقهم خاسرون لا محالة.

انقسم جيش الشر بين مقارع بالسيف و متناول طعامه من جثث أعدائهم.

أما هشام فقد كان يسير باحثا عن هدفه و هو يرى الأسواق و البيوت الخاوية.

باشر هرمز بتلاوة جزء من التعويذة بصوت عالي.

قال:

- (أوشنلا تما مواو طكموفا اوشنلا تما مواو شعشا دمو أوشنلا تما مواو او ساولا تمو).

مع انتهاءه من كلماته تلك أتت العلامة الأولى دليل على فعالية ما قام به، كانت عبارة عن صدمة هزت كل ارض الشر، و سقوط كل من ينتمي إليها مغشياً عليه عداه.

شعر هشام بالصدمة، و أحس أن المحظور بدأ بالوقوع ، فأسرع يبحث عن اللعين.

في تلك الأثناء وصلت الصعقة لتسقط جيش "سموريه" الذي كان مشغوف بإراقة الدماء مغشياً عليهم جميعا.

نظر البشر و رفاقهم بذهول حولهم ليجدوا الوحوش ساقطة على الأرض بلا حراك لا تملك من أمرها شيء.

صرخ الملك بأعلى صوته:

- استغلوا هذه الفرصة و اقتلوا منهم قدر ما تستطيعون قبل أن ينهضوا من جديد.

ثم استرسل قائلا:

- الثأر، الثأر من محرفي العقائد و قاتلي مبعوثي السماء.

بعد كلماته تلك اعتزل الجميع و قال في نفسه:

- أظن أن ابنتي وضعت ثقتها في شخص غير مناسب.

تأكد هرمز من كلماته آتت أكلها، فعين مولها اليسار بدئت تضيء.

بدأ بالمرحلة الثانية:

– (مشع مواو شعنقشا ومو أوشهسنكن شعشن فا شعاوا أو جمفاواد اوفهجمش فهشعفاو التبجم لتجملت مغا شعمواد).

جاءت العلامة الثانية ، فبدئت السماء تمطر كرات من نار على غابة بابك و مملكة الهلاك ماعدا القصر، وكذلك جاءت الصعقة الثانية لتوقظ جميع من اغشي عليه، ثم ارتفعت الحمم البركانية التي تحيط بمكان تواجد هرمز إلى الأعلى على شكل دائرة تدفقت بقوة هائلة محيلة جميع المتجمهرين إلى رماد.

نظر إلى الجثة فوجدتها قد انتصبت جالسة، و فتح فمها ليخرج منه دخان كثيف يصاحبه صوت أزيز.

لم تتبقى سوى مرحلة واحدة ليجني ثمرة جهده.

في تلك الأثناء كان الجيش قد تمكن من قتل عدد كبير من عدوه، و لم يتبقى منهم سوى بضع ألاف، إلا أنهم عندما أفاقوا عاودوا القتال بمنتهى الضراوة، أضعاف مضاعفة عن ذي قبل.

أما هشام فقد اقترب من القصر و دليلة أصوات صراخ لمخلوقات تتعذب.

انطلق مسرع حتى وصل القصر، نزل السلالم، و بعد إنهاءه لها بسرعة البرق وجد المكان مليء بالحمم فعرف أن بعدها طريقه إلى ضالته.

بحث مسرعاً عن أي شيء يساعده على اجتياز العائق، أخيرا وقع نظره على درع فولاذي، فأستخدمه للتزلج عبر الحمم وصولا إلى السلم الحلزوني، بعد احتراق نعله الجلدي و تحولت قدماه لقطعتي لحم مشوي.

بعد إن وطئ مكان لم تصله الحمم بالقرب من البوابة، ألقى نظرة بتمعن إلى الأسفل، رأى ضالته و أمامها وحش آخر.

عرف ما يتوجب عليه فعله، و بدون تأخير أو عمق تفكير، استل سيفه و شد من قبضته، ثم صلب طوله و رمى بنفسه من أعلى متوجهاً ناحية عدوه كالسهم.

أيقن أنها النهاية، و أرادها أن تكون مشرفة، وجه سيفه بشكل جيد، و بينما هرمز يستعد لإطلاق آخر جزء من التعويذة، صرخ هشام معلناً عن وصوله.

قال دون شعور:

– "الله أكبر" خذها، يا محتسي الدماء في الكوخ القديم.

قبل تمكن هرمز من معرفة صاحب الصوت، ضرب سيف الشاب رقبة المختار، ففصل رأسه عن جسده لينهي حياته البائسة، ثم انتهى هو الآخر بين أحضان الحمم، فأنهى حياته بابتسامة رسمها على محياه معبر بها عن رضاه لما آلت إليه الأمور، ثم تلاشى.

ترنحت جثة الوحش الكبير، و بدئت بالانتفاخ شيء فشيء حتى ملئت المكان كله، ثم انفجرت مطلقَّة صوتاً كل من يسمعه يصاب بالصمم، و كأنها صرخت استنكار لما حصل، أصيبت مملكة الهلاك بعد ذلك بزلزال قوي، و بدأت بابتلاع نفسها ثم غابة بابك و ...

بينما سموريه و جنوده مسيطرين على الأوضاع و لم يبقى من الغزاة سوى بضع مئات، حصل اهتزاز في الأرض و عاد لون الأرض الزاهي و بدئت الشمس تظهر و هي تشق طريقها عبر الغيوم و الدخان مداعبة بأشعتها كل شبر في الأرض، ثم سحبت قوة هائلة ملك الجان و من معه باتجاه الشمال، و مع جميع المحاولات للمقاومة إلا أنهم فشلوا مستسلمين لقدرهم.

ابتلع مصدر الشر كل الشر الذي نشره طيلة ألاف السنين، و عاد كل شيء إلى أصله قبل ولادة ملك الهلاك.

لم يبقى من آثار ارض الشر سوى جبل المرارة الذي كسته الزهور و حلقت فوقه الطيور.

لم يبقى شيء حتى هشام البطل الذي حرر هذه الأرض اختفى.

وقف ننماخ مع من تبقى و هم غير مصدقين ما حصل.

قال مخاطباً إياهم:

ـ اكتملت مهمتنا الآن رغم الخسائر الفادحة التي منينا بها، لا تنسوا الجبان الذي اثبت أنه أشجع الشجعان و منقذ المعمورة من شر لو عاد لالتهم كل شيء جميل، اذكروا هذا الاسم مع كل شروق و غروب ((هشام))، و لا تنسوا إن الشر مازال موجود و متأصل في أنفسنا فلا تسمحوا له

بالخروج، و هذه هي معركة من حرب طويلة، و سيعود الشر في يوم ما متجسداً بأحد أبناء أجناسنا، لا تدعوه يجدكم متفرقين متناحرين من اجل أشياء زائفة زائلة، بالحب وحده تحي الأُمم و يندحر الظلام، عودوا لدياركم و عيشوا بسلام.

حمل ابنته بين ذراعيه، ثم انطلق يعدوا في السماء عالياً يتبعه ما تبقى من أبناء جنسه.

زهت الأرض و أخرجت خيراتها،لم يعد للشر ذكر سوى قطرات أخيرة من ينبوع جف داخل كهف مظلم.

..النـهايـة..

«عن الكاتب»

الاسم: نصير حسين فارس العراقي

مواليد : العراق , صلاح الدين, تكريت 1981/3/26

التحصيل الدراسي: طالب بكلريوس إدارة و اقتصاد ,جامعة تكريت

العمل الحالي: عامل في" كافتريا" للأكلات السريعة.

بدايتي مع الأدب كانت في عام 2004 م و أول ما كتبت كان الشعر الحر , ثم انتقلت لكتابة المقال فكتبت في جريدة ديوان تكريت , و موقع ديوان تكريت الإلكتروني بعض المقالات السياسية , و كانت تستهويني كتابة الرواية فكتبت أولاها عام 2010م و التي تم نشرها عام 2011 م من قبل دار كتابنا للنشر في لبنان.

دار
قصص وحكايات
للنشر
الإلكتروني